جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
سلمون عبير نور اليقين
جاب الله نهى

إشراف الدكتور:
جمـــال مباركي

يوم:19/06/2023

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي

لجنة المناقشة:

صالح مفقودة	أ. د.	محمد خيضر بسكرة	رئيس
جمال مباركي	أ. د.	محمد خيضر بسكرة	مقرر
غنية بوضياف	د	محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية: 2022 - 2023

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" من سلَك طَريقا يبتَغي فيه علْما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أجْنحتها لطالب العلم رضًا بما يَصنَع، وإنَ العالم لَيستغفِرُ له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتى الحيتَان في الماء، وفضْلُ العالم على العَابِدِ كَفَضْلِ القمر على سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماء ورثَة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِثُوا دينارا ولا درهماً وإنما ورَّثُوا العلم، فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بحَظٍّ وافرٍ"

حكمـــــــــــــة

يقول العماد الأصفهاني: "إنّي رأيتُ أنَّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومِه، إلاّ قالَ في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستَحسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل. هذا مِنْ أعظَمِ العِبرِ، وهو دليلٌ علَى استيلاءِ النَّقصِ علَى جُملةِ البَشَرِ "

إهـــــــــــــــــــــــداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

نحمد الله على توفيقه إيانا ومدنا بالقوة لإتمام هذا العمل، نتقدم بكل آيات الشكر

وكلمات الحب والجميل والعرفان " لوالدينا الكريمين " فهما أصحاب الفضل الكبير

لما وصلنا إليه من درجات العلم، ولكل أفراد عائلتينا الكريمتين من كبيرها إلى

صغيرها كل باسمه.

مقدمـــــة:

إن الحديث والغوص في الأدب العربي وجمالياته وتراثه أمر شيق، والبحث فيه مفيد وممتع، ودارسه يحصل على الثراء والنمو الفكري والروحي معا، فالأدب وفنونه المتنوعة لا يقتصر على زمان أو مكان مخصوص، بل هو صالح لكل زمان ومكان.

الباحث والدارس في التراث الأدبي العربي الممتد في العصور لا يسعه إلا أن يقف منبهرا من عظمته وثروته الفكرية الأدبية الجمالية والبلاغية، فالأدب العربي خاطب كل العقول والقلوب بما يناسب وعيها واستطاع تبليغ رسالاته ومراده بأيسر وأجمل الطرق والأساليب، وعلى هذا فإن الغرض من هذه الدراسة هو محاولة قراءة فن أدبي ضم النثر والشعر على حد سواء، ونما وازدهر في البيئة العباسية ألا وهو فن الوصية، فقد كان لأسلوب الحياة في العصر العباسي دور كبير في ظهور ونمو وتطور عديد من الفنون الأدبية بحكم الظروف الاجتماعية الدخيلة على الحياة العربية حينئذ، وعلى فن الوصية بشكل خاص، حيث تأثرت بيئة الفرد العباسي بعلوم المشرق، وبسبب احتكاكها بأمم وثقافات أجنبية، نشأ فن الوصايا إبداعا سياسيا، اجتماعيا ودينيا، إذ استمر الخلفاء يوصون رعاياهم وأبناءهم والمقربين من الخلفاء فيما يخص شؤون الدولة والحكم، ووصى الآباء والأمهات أبناءهم، ووصى الوعاظ والحكماء الحكام وكافة الناس بمختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية.

وتأخذ هذه الدراسة على عاتقها دراسة القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي، وتنطلق من الباب الجمالي البلاغي، الذي سيوضح مدى إبداع الفرد العباسي فيه، باختلاف مناسبة الوصية وغرضها، كون الوصية حاجة سياسية اجتماعية ودينية، يتم من خلالها نقل المعلومات والخبرات من جيل إلى جيل فقد لامست أغلب جوانب الحياة في العصر العباسي بأسلوب بلاغي، جمالي، ذكي وراق جدا، يدل على تشبع أهل ذلك العصر بالأدب والحنكة وحتى الدين.

وقد عنينا في بحثنا بتخصيص دراستنا حول الوصية وجمالياتها بصورة عامة وفي العصر العباسي على وجه الخصوص لذا وجب علينا الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الوصية؟
- كيف أصبحت الوصية فنا أدبيا؟
- ما أبرز المحطات التاريخية الأدبية العربية التي مرت بها؟
- ما أبرز القيم الجمالية والبلاغية لفن الوصية في العصر العباسي؟

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع –القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي-، حداثة الموضوع، والرغبة في الاطلاع على مضامين الوصايا وما تحتويه من فوائد لبناء الفرد والمجتمع والدول، وما يتسم به هذا الفن من قيم جمالية.

وتكمن أهمية البحث في الآتي:

- يحاول البحث إثراء الرصيد الفني، الأدبي والجمالي للطالب.
- تمنح الوصايا إرشادات وتوجيهات جوهرية تساهم في تهذيب وتطوير حياتنا اليومية.
- يحاول البحث إعادة إحياء هذا الفن في نفوس القراء لذا كانت غايتنا التركيز على الجانب الفني والجمالي منه.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا دراسة نظرية تاريخية محاولين الإلمام بأهم محطات فن الوصية وجمالياتها عبر العصور التاريخية العربية، بالإضافة إلى الجانب التطبيقي الذي حاولنا فيه دراسة بعض من الوصايا دراسة بلاغية لاستخراج جماليات الوصية التي أبدع فيها أدباء العصر العباسي.

أما بالنسبة للخطة التي اتبعناها في هذا البحث، اشتملت على فصلين، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، المقدمة جاءت تمهيدا للموضوع، والفصل الأول بعنوان: فن الوصية عبر العصور – من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي - والذي تناول مفهوم الوصية وأنواعها، أما بالنسبة للفصل الثاني قد عنون ب: القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي وذلك من خلال تحليل بعض من نماذج الوصية في العصر العباسي و استخراج جمالياتها.

تليها خاتمة تحتوي على النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع أنارت لنا طريق البحث ويسرته نذكر منها:

- روناك توفيق علي النورسي، "وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية".
- أحمد أمين مصطفى، "أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع".
- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة".

وقد واجهنا أثناء بحثتنا هذا مجموعة من الصعوبات أبرزها نقص المراجع ومشقة الوصول إليها وصعوبة جمع المواد المتعلقة بالبحث، وتشابك الموضوعات المتعلقة به، بالإضافة إلى ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا في التعمق أكثر في دراسة هذا الفن ومضاعفة جهد البحث فيما يخدم الموضوع، والإرهاق النفسي والجسدي أثناء مرحلة البحث.

ولا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نشكر ونقف وقفة إجلال واحترام وتقدير لأستاذنا المشرف الدكتور الأستاذ " جمال مباركي" الذي تقبل إشرافه على مذكرتنا بصدر رحب وكان لنا نعم المشرف، كما نشكره على ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح قيمة وعلى طيب معاملته وصبره فجزاك الله عن عملك كل خير.

وفي الأخير إن أصبنا فذلك توفيق من الله وإن أخطأنا فحسبنا أننا حاولنا واجتهدنا مخلصين والحمدلله أولا وآخرا نحمده ونشكره على نعمة ظاهرة وباطنة، ونستغفره وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

الفصل الأول:

فن الوصية عبر العصور

(من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي)

المبحث الأول: شرح مفهوم الوصية

أولا / مفهوم الوصية:

لقد تنوعت مفاهيم الوصية بحكم أنها لامست مجالات الحياة المختلفة، فلكل مجال ينظر لها من وجهته الخاصة، ما يجعل تدقيق المفهوم مطلب عزيز وصعب المنال، وكذا خروج المصطلح إلى مصطلحات مشتقة من جذره وذلك من قبيل: (الوصاية)، (التوصية)، (الوصى) و (التواصي).....

أ_ الوصية لغة: أوصى الرجل ووصاه، أي: عهد إليه، والوصية: ما أوصيت به، وجمعها وصايا.[1]

جاء لفظ (وصي) أو (الوصية) أو (الوصاة) في أشعار العرب الجاهليين وأنثارهم في مواضع عديدة ومناسبات مختلفة.

(وصى) الواو والصاد والحرف المعتل: أصل يدل على وصل شيء بشيء. ووصيت الشيء وصلته، ويقال: وطئنا أرضاً واصية أي نبتها متصل قد امتلأت ووصيتُ الليلة باليوم: وصلتها وذلك في عمل تعمله.

والوصية من هذا القياس كأنه كلام يوصى أي يوصل يقال وصيته توصية و واصيته أيضاً [2]، يوصى ويوصل من جيل إلى جيل.

[1] ابن منظور " لسان العرب"، دار صادر بيروت ج1، ص 114
[2] ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني، (395هـ). معجم مقاييس اللغة، تح/: عبد

وأوصى الرجل ووصاه عهد إليه، وتواصى القوم: أوصى بعضهم بعضاً [1].

والاسم والوصاة، وتواصى القوم، أي أوصى بعضهم بعضاً.[2]

وفي القرآن الكريم: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ).[3]

وفي الحديث: « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان».[4]

يتضح مما سبق أن مفهوم الوصية يأتي بمعنى الاتصال ووصل شيء بشيء آخر.

ب_الوصية اصطلاحاً: هي ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات، والوصية هنا تكون من المولى ومن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن صالح المؤمنين، و الموصى به في هذا النوع يشمل أموراً كثيرة، منها: الوصية بكتاب الله وبتقواه والصبر على وبر الوالدين وإكرام الجار وحسن الخلق.

فالمعنى الاصطلاحي الذي ننشده في هذه الدراسة هو إيصال الخبرة ونقل التجربة ومد جسور المعرفة التي يتناقلها البشر بغية تحقيق الخير لهم بشكل عام أياً كان ميدان تلك الوصية، فالوصية تضمن اتصال السلوك السليم والرأي السديد عن طريق نقله للأجيال، وعليه فالوصية تلتبس بالنصح والإرشاد والوعظ والحكمة [5] يدل على ذلك ما جاء في سنن

السلام هارون ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (مادة وصى) ص 116.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ى(مادة وصى)
[2] الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (398هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 1 ، 1999 (مادة وصى)
[3] سورة النساء، آية 11
[4] سنن الترمذي 3/ 467
[5] المفضل الضبي، المفضليات، تحق أحمد شاكر، هارون ط3، دار المعارف القاهرة، ص 384

الإمام أبي داود[1] عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رضي الله عنه - قَالَ :صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ :يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ» :أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[2].

فالوصية من خلال النصوص السابقة تدل على أن الموصي مخاطِب أعلى من المخاطب، فالله عز وجل يوصي عباده وهو السلطة الإلهية التي تمثل الخطاب الأعلى، كما أوصى سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم- قومه، و أوصى إبراهيم -عليه السلام- أبناءه وهو سلطة نبوية أولاً ثم أبوية ثانياً.

فالوصية إذن نقل أمين للتجارب السابقة، والخبرات المكتسبة والمعارف، يقدمها الموصي من أجل تحقيق الفائدة للمتلقي، وقد عرف الأدب العربي عدداً من الوصايا التي صدرت عن عدد كبير من الأشخاص من ذوي الخبرات المتعددة والرؤى المختلفة ممن عرفتهم الحياة وجربوا منها ما شان وزان.

ثانيا / كيف صارت فنا؟

[1] سنن أبي داود، ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني، مطبعة السعادة مصر، ج2، ص610

[2] أخرجه أبو داود في سننه برقم 4608 والترمذي في كتاب العلم برقم 2678

كتابة الوصايا في جذرها جاءت لغايات فطرية إنسانية أملتها ظروف الحياة بصورة عامة، فانتقلت من سياقها الفطري العفوي حتى أصبحت فنا أدبيا يتم نظمه شعرا ونثرا له أسس ومبادئ خاصة به، والمتتبع لفن الوصية عبر العصور التاريخية يجد أنها تنهل من العرف والوعي الجمعي للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، فكل ما يناقض العرف يكون أمر حساس، لذا التزم الأجداد وأصحاب التجربة الحياتية بتوصية الأجيال القادمة بحسن التعامل والذكاء الاجتماعي، وهذا ما يتجلى في قول محمد الجذامى :

إن تَرْمِكَ الغربةُ في معشرٍ ... قد جُبِلَ الطبعُ على بغضهمْ

فدارِهمْ ما دمتَ في دارِهمْ ... وأَرْضِهم ما دمتُ في أَرْضِهم[1]

والمتتبع لوصايا العصر العباسي خاصة يرى وبوضوح مدى اعتماد وصايا الأدباء والوعاظ وأصحاب الحكم على الاقتباس والنهل من المعاني الإسلامية سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، وبسبب طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية التي شهدت تغيرا ملحوظا وانساقت إلى حياة الملذات، بحكم اختلاط الثقافات الوافدة من بلدان متعددة، فاعتمدت الوصية في العصر العباسي كمنهج لإعادة الناس إلى جادة الصواب والصراط المستقيم، وهو الأمر الذي دفع أصحاب العقول والأقلام إلى تبصرة الناس وتنويرهم، بضرورة الاتعاظ، وترك المنازعات بمختلف مفاهيمها وأنواعها.

فأصحاب الوصايا إذن هم من أصحاب الفكر والتفكر والتدبر من الحكماء والعلماء وأكابر رجال الدولة، والزهاد وأصحاب المدرسة الحياتية، فالحكام يوصون شعوبهم،

[1] أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ج8، ص81.

والعلماء والأدباء يسعون إلى الإصلاح بين الرعية والحكام، وتوجيه كافة الناس حسب ما يناسب مستوى وعيهم الفكري والديني من أجل خلق فكر ومجتمع منسجم يعيش حياة الرضا والتوافق، وسيتضح في الفصول القادمة كيف أن هذا النهج كان معتمد في فن الوصية عبر العصور الأدبية.

المبحث الثاني: نماذج ومضامين الوصايا في العصر الجاهلي

أولا: الوصايا في العصر الجاهلي:

1. نماذج ومضامين:

يعود تاريخ الوصية إلى عهود قديمة مع ظهور الأنبياء والمرسلين، وكانت الوصايا من أهم الأجزاء الأدبية في ذلك الحين لما تحمله من معان ونصائح وتوجيهات للأفراد والمجتمعات لما تحويه من غاية أخلاقية وإنسانية توجيهية بالنسبة للفرد الذي عاش في تلك الحقبة واللاحقين من الناس، وهذا ما يؤكده حديث الرسول صل الله عليه وسلم حين قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".

ثم شاعت فن الوصية وتنوعت موضوعاتها في العصر الجاهلي بحسب الظروف والمناسبات التي تم فيها سرد هذه الوصايا فمنها ما يحث الفرد على الطاعة، ومنها ما يحث على الشجاعة، التضحية، الصدق ومكارم الأخلاق ومن أنواع الوصايا التي شاعت نذكر:

أ- وصايا الحكماء:

لطالما كانت الوصية مرتبطة بالحكمة والمعرفة، لذا كانت تصدر من الحكماء والمعمرين وغايتها غالبا هي النصح والتوجيه والإرشاد للقبيلة وأفرادها، وتقويم دروب الحياة للجيل القادم، وتحبيب الخير لقلوبهم،" فهي بمثابة وثيقة عمل وإعلان مبادئ، قويمة ذات غايات تهذيبية، اصطنع فيها الموصون اللغة البسيطة القصيرة المقاطع، تجري مجرى الأمثال"[1]، وتلك الوصايا قد تكون في قالب شعري او نثري.

ومن هذه الوصايا نذكر وصية زهير بن أبي سلمى حيث أعطى مناهج السير في الحياة وكيفية التعامل مع الأصحاب، والحروب ودل على معنى الشجاعة والكرم، وقد جاءت في قالب شعري:

فلا تكتمنَّ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتمِ الله يعلمِ
يؤخَّر فيوضع في كتابٍ فيدَّخر ليومِ الحسابِ أو يعجَّل فينقمِ
وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضرَ إذا ضرَّيتموها فتضرمِ
ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرةٍ يضرَّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسمِ[2]

ب_ وصايا الآباء للأبناء:

اعتنى الشعراء الجاهليون (من 150إلى 200 سنة قبل الإسلام) بتربية أبنائهم، وصقْل نفوسهم، وغرس القيم السلوكية فيها. وتأخذ هذه التربيةُ شَكْل وصايا شعرية يصدرها الآباء إلى الأبناء، بعد أن بلوا الحياة وخبروها، وامتلأتْ جعابهم بتجارِب إنسانية، فينقلون هذه التجارب إلى الأبناء، ويغلب على هذه الوصايا إحساس الشّاعر بدنو الأَجل، ومن الوصايا النثرية في العصر نجد وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

[1] روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: ص 17.

[2] حذيفة عبد الله العزام، الوصايا في الأدب الأندلسي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، حزيران 2008، ص 15/14.

حيث أوصاه بقوله: " يا بُنَيَّ، إنَّ أباكَ قد فَنِي وهو حيٌّ، وعاشَ حتى سئِمَ العيشَ، وإنّي موصيكَ بما إنْ حفظْتَهُ بلَغْتَ في قومِكَ ما بلَغْتُهُ، فاحفظْ عنّي: أَلِنْ جانبَكَ لقومِكَ يحبُّوكَ، وتواضعْ لهم يرفعوكَ، وابسطْ لهم وجهَكَ يطيعوكَ، ولا تستأثِرْ عليهم بشيءٍ يسودُوكَ، وأكرِمْ صغارَهم كما تُكرِمُ كبارَهم يكرِمْكَ كبارُهم، ويكبرْ على مودَّتِكَ صغارُهم، واسمحْ بمالِكَ، واحمِ حريمَكَ، وأَعزِزْ جارَكَ، وأَعِنْ من استعانَ بكَ، وأَكرِمْ ضيفَكَ، وأَسرِعِ النَّهضةَ في الصَّريخِ؛ فإنَّ لكَ أَجَلاً لا يعدوكَ، وصُنْ وجهَكَ عن مسألةِ أحدٍ شيئًا فبذلكَ يتمُّ سؤددُكَ."[1]

فذو الإصبع العدواني يحاول هنا توجيه ابنه من خلال تجربته الحياتية على أهمية أسلوب التعامل مع الأفراد كل على حسب شاكلته، ومدى وعيه، ليس تلاعبا ولا مجاملة، ولكن يعلمه مدى أهمية إدراك مستوى وعي كل شخص واحترام مرحلته العمرية والفكرية، كما يدله على سلوكيات أخلاقية ودينية تعزز من إنسانيته وهي من السنن التي سن عليها الأنبياء والرسل وأمرنا بها عز وجل.

ج_ وصايا الزواج:

ويكون هذا النوع من الوصايا من الآباء والأمهات إلى أولادهم عند إقبالهم على الزواج، وذلك من خلال تقديم توجيهات وتنبيهات تفيدهم عند انتقالهم إلى حياة جديدة تكون تحت مسؤولية الأبناء بالإطلاق بعيدا عن جناح الوالدين.

ومن هذه الوصايا نجد وصية زوجة عوف بن ملحم الشيباني لابنتها حينما، اقترب زفافها إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة، وفيها تقول" : أَي بنيَّة :إنَّ الوصيَّة لَو تُرِكَت لفضلِ أَدبٍ؛ تُرِكَت لذلكَ منكِ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافلِ، وزادٌ للعاقلِ، ولَو أَنَّ امرأَةً استغنَت عنِ الزَّوجِ لغنى أَبويها، وشدَّة حاجتِهما إليها؛ كنتِ أَغنى النَّاسِ عنه، ولكنَّ النِّساءَ للرِّجالِ خُلقن، ولَهنَّ خُلِقَ الرِّجالُ ..!!

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت–لبنان، ج1، ص120.

أَي بُنيَّة؛ إنَّك فارقْت الجوَّ الذي منه خرجت، وتركْت العشَّ الذي فيه درجت؛ إلى وكْرٍ لَم تعرفيه، وقرينٍ لَم تألَفيه؛ فكُوني لَه أَمةً يكن لَك عبداً ..!!

أَي بنيَّة؛ احفَظي عني عشْر خصالٍ تكُنْ لَك ذُخْراً: الصُّحبةُ بالْقناعة، وحسن السَّمع لَه والطَّاعة، والتعهُّد لموقع عينه، والتَّفقُّد لموضع أَنفه، فلا تقَع عينه منْك على قبيح، ولا يشُمَّ منْك إلا أَطْيب رِيح، والكُحل أَحسن الحُسْن، والماء أَطْيب الطِّيب المفْقود، والتَّعهُّد لوقْت طَعامه، والهدوء عنْد منامه؛ فإنَّ حرارة الجوعِ ملْهبة، وتنغيص النَّومِ مغْضبة، والحفاظُ على بيْته وماله، والرِّعاية لَه وعياله؛ فإنَّ الحفاظَ على المال حسن تقْدير، ورِعايةُ الْعيال حُسْن تدْبير، ولا تُفْشي لَه سرًّا، ولا تعْصي لَه أَمْرا؛ فإنَّك إن أَفْشيْت سرَّه؛ لَم تأْمني غدْره، وإن عصيْت أَمْره؛ أَوغرْت صدْره، ثُم اتَّقي بعْد ذلك الفرح بين يديْه إن كان ترحاً، والاكْتئاب عنْده إن كان فرحاً؛ فإنَّ الأُولى من التَّقْصير، والثَّانية من التَّكْدير، وكُوني أَشدَّ ما تكُونين لَه إعْظاما؛ يكن أَشدَّ ما يكُون لَك إكْراما، واعْلَمي أَنَّك لَن تصلي إلى ما تحبِّين؛ حتَّى تُؤْثري رِضاه على رِضاك، وهواه على هواك[1]"

فالأم توجه ابنتها وترشدها ويتجلى مدى وسع علم الأم بالحياة الزوجية، حيث فصلت لها كل جوانب الحياة الزوجية باختصار وبدقة وهذا ما يجعلنا نثني على الجاهليين في حسن دهاءهم وحكمتهم في التبليغ بما يقل من العبارات لكنها تحمل من البلاغة ما تحمل، في باطن المعاني وعمقها.

2. الخصائص الفنية لفن الوصية في العصر الجاهلي:

يمتاز حجم الوصية في العصر الجاهلي بالقصر غالبا، لذلك فهي تذهب مذهب المثل، "تأتي في فقرات متتالية، قصيرة الفواصل، تشكل مع بعضها وحدة متكاملة على المستوى الدلالي، استخدم فيها الموصون ألفاظا سهلة بعيدة عن الإغراب والتوعر"[2] ومن أبرز خصائصها نذكر منها:

[1] ياسر الحمداني، موسوعة الرقائق والأدب، ص6668.

[2] روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ص 18

- وضوح الفكرة.
- جودة العبارات وسلامة الألفاظ.
- الإكثار من السجع غير المتكلف.
- التنوع في الأساليب بين خبري وإنشائي.

بالإضافة إلى استخدام التكرار من أجل تثبيت وتأكيد الحقائق والمعلومات، كما استخدم الجاهليون أسلوب الإقناع من خلال تنظيم الأفكار وشرحها وتفسير أسبابها.

استخدموا أيضا بكثرة الإيقاع الموسيقي لجذب نفس المستمع وإحداث تأثير داخلي عن طريق تحريك مشاعره وأحاسيسه.

يتجلى مما سبق دور الوصية في حياة الفرد الجاهلي، حيث تناولت مواضيع مختلفة لامست كل جزء من حياته، وتجلى بوضوح مدى تشبع الأنسان الجاهلي بزاد فكري، معرفي وأخلاقي عظيم جدا، جعله يبدع في خلق مادة نثرية وشعرية غاية في الجمال، تمكن من خلالها من نقل خبرات ومعلومات لكافة الناس.

المبحث الثاني: نماذج ومضامين الوصايا في عصر صدر الإسلام والأموي

أولا: الوصايا في عصر صدر الإسلام (من 750 – 662م):

1. نماذج ومضامين:

اتخذت الوصايا مسارا جديدا في ظل الإسلام متأثرة شكلا ومضمونا بالقرآن الكريم وتعاليم الإسلام الذي مس قلوب القوم وعقولهم، وطبعت الوصايا بطابع الترغيب في الحياة الآخرة، والحث على العمل من أجلها، والترهيب من العمل الفاسد الذي لا يرضي المولى عز وجل، وقد أصبحت الوصية في هذا العصر

تطلب، وكانت تعطى طواعية خاصة وصايا الرسول –صلى الله عليه وسلم– للأشخاص الذين يأتون إليه ويطلبون النصح، وقد كانت وصايا الرسول تتباين من شخص إلى آخر وذلك حسب حاجة الشخص الموصى إلى التقويم في سلوكه.

أ_ الوصية في القرآن الكريم:

فالقرآن العظيم يحمل العديد من الوصايا لا يمكن حصرها نذكر منها وصيتين شاملتين لأسس التعاليم الاسلامية، أما أولاهما فجاءت في سورة النساء[1] في قوله تعالى: (واعْبُدُوا اللَّه ولَا تُشْرِكُوا به شَيْئًا وبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا وبِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمساكِينِ والْجارِ ذِي الْقُرْبى والْجارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجنبِ وابْنِ السَّبِيلِ وما ملَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّه لَا يحِبُّ من كَانَ مخْتَالًا فَخُورا)[2] وهذه الآية تشتمل على الوصية بعبادة الله وحده، والاحسان الى الوالدين، والاحسان الى الأقارب، وحسن المعاملة للمجتمع كله حتى العبيد.

أما الوصية الثانية التى نوردها هنا فقد وردت في القرآن الكريم على لسان لقمان حيث يقول الله تعالى:

« وإِذ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) ووَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (14) وإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (17) ولَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ

[1] أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الإنجلو المصرية، ط 1990، ص14

[2] 2 سورة النساء آية 36

مرحا إِنَّ ٱللَّه لَا يحبُّ كُلَّ مُختَال فَخُور (18)وٱقصد فِي مشيِكَ وٱغضُض من صوتِكَ إِنَّ أَنكَر ٱلأَصوٰت لَصوتُ ٱلحمير 1 .

ب_ وصايا النبي –محمد صلى الله عليه وسلم–:

أما عن موضوعات الوصية فقد توسعت في العصر الإسلامي ذلك أن الإسلام فتح لها آفاقا رحبة، فظهرت في مجال الدين الوصية الدينية التي كان رائدها الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهرت الوصية السياسة في شتى مجالات الحكم والسياسة والوصية الجهادية والوصية الاجتماعية وعليه فأنواع الوصية في هذا العصر ويمكن تقسيم فن الوصية في هذا العصر حسب موضوعها إلى ما يأتي:

ج–الوصايا الدينية:

وهي وصايا عظيمة تظهر مدى تأثرها بالمفاهيم التي وردت في القرآن والسنة، حيث استمدت منهما الكثير من مضامينها، ومنها وصايا الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى أمته نذكر منها قوله عليه الصلاة والسلام أوصاني ربي بسبع: بالإخلاص في السرِّ والعلانية، وأنْ أعفو عمَّن ظَلَمني، وأُعطي من حرمني، وأَصِلَ مَنْ قَطَعَني، وأَنْ يكُون صمتي فِكْراً، ونظري عِبراً، ونُطْقي ذِكراً، ونظري عبرا[2]"

ومن وصايا الصحابة رضوان الله عليهم، وصية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لجنود قريش عند موته: " يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِه، وَقَلْبُ الْعَرَبِ، فِيكُمُ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمُ الْمُقَدَّمُ الشُّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيبًا إِلَّا أَحْرَزْتُمُوه، وَلَا شَرَفًا إِلَّا أَدْرَكْتُمُوه، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النَّاسِ الْفَضِيلَةُ وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمُ الْوَسِيلَةُ، وَالنَّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ أَلْبٌ، وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ

---

3 [1]سورة لقمان الآيات من 13 إلى 19

[2] محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان، ص 425.

هذه الْبَنيّة »[1] «، فإنّ فيها مرضاة للرّب، وقواما للْمعاش، وثباتا للْوطْأة، صلُوا أَرحامكُمْ ولا تقْطعوها، فإنّ في صلة الرّحمِ منْسأَة في الْأَجل، وسعة في الْعدد، واتركوا الْبغي والْعقوق، ففيهما هلكة الْقُرون قبلكُم، أَجيبوا الدّاعي، وأَعْطُوا السّائل، فإنّ فيهما شرف الْحياة وللمات، عليْكُمْ بصدْق الْحديث، وأَداء الْأَمانة، فإنّ فيهما محبّة في الْخاصّ، ومكْرمة في الْعام، ".[1]

فعلي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– عنه جمع فوصيته بين الدنيا والآخرة، وذكر بعظمة نسله، وتعظيمه لشعائر الله تعالى وبوجه الخصوص الكعبة الشريفة، ودعا قومه إلى إتمام الرسالة المحمدية ألا وهي طاعة الله تعالى، واتباع سبيل الهدى والرشد.

د_ الوصايا السياسية:

تشمل وصايا الخلفاء إلى من يلي الأمر بعدهم ووصاياهم إلى القضاة وولاة الأمصار والأمراء وقادة الجيوش ووصايا الحرب وقد أخذت طابع الرسائل فكانت وصايا مدونة نذكر منها وصية عمر لأبي عبيد بن مسعود حيث قال فيها: " إنّك تُقْدم على أَرْض الْمكْر والْخديعة والْخيانة والْجبريَّة، تُقْدم على قوْمٍ قدْ جرءوا على الشّر فعلموه، وتناسوا الْخير فجهلوه، فانْظُرْ كيْف تكون! واخزن لسانك، ولا تُفْشينّ سرّك، فإنّ صاحب السّر ما ضبطه، متحصّنٌ لا يؤْتى من وجْهٍ يكْرهه، وإذا ضيّعه كان بمضيعة"[2].

ومن وصايا عمر بن الخطاب أيضا للمجاهدين حيث قال عند عقد الألوية:

" بسْمِ الله، وعلى عوْنِ الله، وامضوا بتأييد الله بالنّصْر، وبلُزُومِ الحقّ والصّبْر، فقاتلُوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعْتدُوا إنّ الله لا يُحبُّ المعْتدين. لا تجبنوا عنْد اللّقاء، ولا تُمثّلُوا عنْد الْقدْرة، ولا تُسْرفُوا عنْد الظّهُور،

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص161.

[2] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف بمصر، ط2، 1967، ص454.

ولا تَقْتُلُوا هرماً ولا امرأَةً ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا الْتقى الزَّحفان، وعند حمَّة النَّهضات، وفي شنّ الغارات. ولا تغلُّوا عند الغنائم، ونزّهوا الجهاد عن عرض الدُّنيا، وأبْشروا بالرَّباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم[1]."

يتجلى في الوصية مدى ربط عمر بن الخطاب أمر الجهاد بالاستعانة بالله، والتوكل عليه والاستسلام لمشيئته، بالإضافة إلى الجانب الإنساني لحضرته، حيث نهى عن قتل من لا طاقة ولا حول ولا قوة له، من نساء وأطفال ومستضعفين.

هـ_ الوصايا الاجتماعية:

وتتضمن وصايا الآباء للأبناء والأمهات إلى البنات بقصد التقويم الخلقي، وتعليم طرائق التعامل الاجتماعي، كما ارتبط هذا النوع من الوصايا ارتباطا وثيقا بوصايا الإهداء والزواج، حيث اعتمد الوالدان على توجيه أبنائهم حول الحياة وأساليبها وأسرارها عند تكوين أسرة وبداية حياة خارج جناح العائلة الأولى، والانطلاق في حياتهم الخاصة، كما أن الوصايا لا تهدف فقط إلى سلامة الموصى في الدنيا، بل تتجاوزه إلى الفوز بالآخرة ورضا الله سبحانه وتعالى.

ومنها أيضا وصايا الخلفاء إلى عامة الناس في أمور اجتماعية ومن ذلك وصية عمر بن الخطاب لعامة الناس حيث قال رضي الله عنه: " لا يرحم من لا يرحم ولا يغفر لمن لا يغفر، ولا يوقى من لا يتوقى، ولا يتاب على من لم يتب"[2]

ومن وصايا الزواج وصية أسماء بن خارجة الفزاري لابنته عند التزوج، حيث قال لها:" يا بنيَّة إن كان النّساء أَحقَّ بتأَدُّبك[1] فلا بدَّ من تأديبك كوني لزوجك أَمةً يكن لك عبداً، ولا تقربي منه جدًّا فيملك أَو تملّيه،

2 ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ج1، ص116.

[2] محمد سالم الخضر، البلاغة العمرية، مبرة الآل والأصحاب، ط1 2014، ص353.

وَلَا تُبَاعِدِي مِنْهُ فَتَنْقُلِي عَلَيْهِ، وَكُونِي لَهُ كَمَا قُلْت لِأُمِّك: خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ... وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

وَلَا تَنْقُرِينِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فَإِنَّك لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغَيَّبُ

فَإِنِّي رَأَيْت الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى ... إذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثْ الْحُبُّ يَذْهَبُ "[1]

و_ وصايا الحرب:

يستهدف هذا النوع من الوصايا أهداف إنسانية على أساس التوعية بضرورة سلامة النساء والأطفال خاصة، و الأشخاص الضعفاء وكل من لا يحمل سلاحا، وعلى ضرورة اتباع المنهج الإسلامي الصحيح في الدفاع عن النفس، بالإضافة إلى الاستعانة والتقوي بالله في مواجهة الخصوم، نذكر منها وصية أبي بكر الصديق –رضي الله عنه – لأسامة بن زيد حين توجه إلى بلاد الشام، حيث قال فيها رضي الله عنه:

" أَيُّها النَّاس قِفُوا وأُوصيكم بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوها عَنِّي، لَا تَخونوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَقْطَعُوا نَخْلًا وَلَا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَتَقْدَمُونَ عَلَى أَقْوَامٍ يَأْتُونَكُمْ بِآنِيَةٍ فِيهَا الطَّعَامُ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَسَوْفَ تَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُؤُوسِهِمْ وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفْقًا امْضُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ"[2]

ثانيا: الوصايا في العصر الأموي (من 661إلى 750م):

اشتهر فن الوصايا في العصر الأموي خاصة بعد أن تغير نظام الحكم في هذا العصر من شورى إلى وراثة، حيث سعى حكام تلك الحقبة على توريث أبناءهم الحكم، وتوجيههم إلى سبل النصر واستمرارية الحكم

[1] وائل حافظ خلف، وصايا الآباء للأبناء، دار ابن القيم بالإسكندرية، ص52.

[2] سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط3 1977، ص 657/656.

والسلطة، وكانت الوصية أنجع طريقة وأكثر استعمالا وانتشارا خاصة عند طبقة الحكام، وقد تطور هذا الفن لدرجة كبيرة، إذ صار الموصي يختار ما بين الكتابة والمشافهة لأداء وصيّته، بحسب ما يقتضيه الحال، كما أن الموصي لم يعد يكتفي بمجرد إبلاغ المعنى المراد، بل صار يعنى بتنميق الأسلوب وانتقاء الكلمات ومراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية. "ومن أوائل هذه الوصايا وصية معاوية بن أبي سفيان لزياد حين ولاه العراق[1]:" يا زياد؛ ليكن حبك وبغضك قصدا؛ فإن العثرة فيهما كامنة، واجعل للنزوع والرجوع بقية من قلبك، واحذر صولة الانهماك، فإنها تؤدى إلى الهلاك"[2].

ومن الوصايا الشفهية، وصية عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده: ليكُنْ أوّلُ ما تبدأ به من إصلاحك بَنِي إصلاحك نفسك، فإنَّ أعينهم معقودةٌ بعينك، فإنَّ الحسنَ عندهم ما استحسنتَ والقبيحَ عندهم ما استقبحتَ، علّمهم كتابَ الله – عز وجل –، ولا تكرِهْهُم عليه فيملُّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثُم روِهم من الشّعرِ أعفَه، ومن الحديثِ أشرفَه، ولا تخرجهم من علمٍ إلى غيرِه حتَّى يحكموه، فإنّ ازدِحامَ الكلامِ في السَّمعِ مضلّةٌ للفهمِ، وعلّمهم سيرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وجنّبهم محادثةَ النّساء، وتهدَّدهم بي، وأدّبهم دوني ، وكُنْ لهم كالطّبيبِ الذي لايعجل بالدَّواءِ حتَّى يعرفَ الدَّاء، ولا تتّكل على عُذرِي، فإنّي قد اتّكلتُ على كفايتك، وزِدْ في تأديبهم أزدْكَ في برّي إن شاء الله."[3]

وعليه فأنواع الوصايا تتعدد في العصر الأموي نذكر منها:

أ_ الوصايا الدينية:

[1] أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، ص20

[2] إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، ج3، ص641.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج2، ص 49/48.

كان للوصية الدينية أهمية كبيرة في العصر الأموي باعتبارها مشروعة وسنة مؤكدة، حيث أنها تعجل التوبة وعدم ارتكاب الذنوب، وتزيد التراحم بين الأفراد، بحكم تفاقم الصراع السياسي في تلك الحقبة وشدته، فكانت الوصايا الدينية إحدى سبل تهدئة النفوس المتخاصمة، نذكر منها وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية: "يا بني أمية: ابذلوا نداكم، وكفوا أذاكم، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سئلتم، فإن خير المال ما أفاد حمدا، أو نفى ذمًّا، ولا يقولن أحدكم :ابدأ بمن تعول، فإنما الناس عيال الله، قد تكفل الله بأرزاقهم، فمن وسع أخلف الله عليه، ومن ضيق ضيق الله عليه[1]"

ب_ الوصايا التربوية:

ظهرت طبقة المؤدبين في العصر الأموي بشكل واضح وملموس، مع بدايات عصر التدوين، وهذه الطبقة اعتمد عليها الخلفاء الآباء في تعليم أبنائهم، وبما أن أبناء الخلفاء يحتاجون إلى تربية خاصة، وتعليم متميز، فقد ارتأوا لمن يقوم بهذه المهمة أن يتحلى بأسمى الصفات، وأجمل الأخلاق، نذكر منها:

وصية عمر بن عبد العزيز وهو يوصي سهل بن صدقة مؤدب ولده، يفتتحها قائلا: " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سهل مولاه أما بعد : فإني اخترتك على علمٍ مني بك لتأديب ولدي وصرفتهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصَّة لي , فخذهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم , وترك الصُّحبة , فإنَّ عادتها تُكسب الغفلة , وقلة الضَّحك؛ فإنَّ كثرته تميت القلب , وليكن أوَّل ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي , التي بدؤها من الشيطان , وعاقبتها سخط الرَّحمن , فإنَّه بلغني عن الثِّقات من حملة العلم أنَّ حضور المعازف واستماع الأغاني والهُجر بهما ينبت النِّفاق في القلب , كما ينبت العشب الماء ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذِّهن من الثُّبوت على النِّفاق في قلبه , وهو حين يفارقها لا يعتمد ممَّا سمعت أُذُناه على شيءٍ ينتفع به وليفتتح كلُّ غلامٍ منهم بجزئه من القرآن , يتثبَّت في قراءته ,

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 503.

فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ تَنَاوَلَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ , وَخَرَجَ إِلَى الْعَرَضِ حَافِيًا فَرَمَى سَبْعَةَ أَرْشَاقٍ , ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْقَائِلَةِ ,فَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ :يَا بَنِيَّ قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِيلُ , وَالسَّلَامُ "[1]

ج_ الوصايا السياسية:

دخلت الوصية في العصر الأموي ميدان السياسة، وأضابير الحكم، والغرف المغلقة، وصارت لونا على الأداء السياسي، وقد تضمن هذا اللون توجيهات للحكام والمسؤولين في مجالات الحكم والإدارة والتشريع، نذكر من هذا "لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله:

" اعْلَمْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللهَ جعل الإِمَامَ الْعَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ وَقَصْدَ كُلِّ جَائِرٍ وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ وَنَصَفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ وَالإِمَامُ الْعَادِلُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبِلِهِ الرَّفِيقِ بِهَا الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ الْمَرْعَى وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ وَيَحْمِيهَا عَنِ السِّبَاعِ وَيَكُفُّهَا عَنْ أَذَى الحَرِّ وَالْقَرِّ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ كَالأَبِ الْحَانِي عَلَى وَلَدِهِ يَسْعَى لَهُمْ صِغَارًا وَيُعَلِّمُهُمْ كِبَارًا يَكْتَسِبُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ وَيَدَّخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ كَالأُمِّ الشَّفِيقَةِ الْبَرَّةِ الرَّقِيقَةِ بِوَلَدِهَا حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَرَبَّتْهُ طِفْلًا تَسْهَرُ بِسَهَرِهِ وَتَسْكُنُ بِسُكُونِهِ تُرْضِعُهُ تَارَةً وَتَفْطِمُهُ أُخْرَى وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِهِ وَتَغْتَمُّ بِشَكَايَتِهِ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ وَصِيُّ الْيَتَامَى وَخَازِنُ الْمَسَاكِينِ يُرَبِّي صَغِيرَهُمْ وَيَمُونُ كَبِيرَهُمْ وَالإِمَامُ الْعَادِلُ هُوَ الْقَائِمُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللهِ وَيُسْمِعُهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَى اللهِ وَيُرِيهِمْ وَيَنْقَادُ إِلَى اللهِ وَيَقُودُهُمْ فَلَا تَكُنْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا مَلَكَكَ

[1] ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، ط1، ج10، 1984، ص 226.

الله عزَّ وجلَّ كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدَّد المال وشرَّد العيال فأفقر أهله وفرَّق ماله، وأعلم أنَّ الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها وإنَّ الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتصُّ لهم واذكر الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر"[1].

يتضح مما سبق مدى اتساع دور الوصية وكيف زادت فعالياتها بعد ظهور الدين الإسلامي، بداية من صدر الإسلام حيث تم من خلالها وعظ وإرشاد الناس على وجود عالم الغيب وعلى وجود خالق عظيم، وربط الدنيا بالآخرة، والاتزان بين العالم المادي والروحي، والتقرب إلى الله، وإرشادهم إلى أهمية مكارم الأخلاق والسمو بها.

ونمت أكثر في العصر الأموي بحكم الظروف السياسية وتحول النظام من نظام الشورى إلى نظام الورثة، وجعلت الظروف السياسية والاجتماعية وحتى الدينية من فن الوصية ملجأ، لتهدئة النفوس وإرشاد ضمائر الناس وتوعيتها وتنويرها.

المبحث الثالث: نماذج ومضامين الوصايا في العصر العباسي

أولا: فن الوصايا في العصر العباسي:

تميز العصر العباسي بمظاهر جديدة لم تكن معهودة في العصور التي سبقته ، حيث امتزجت ثقافات عديدة ومتنوعة وافدة من بلاد الفرس والهند واليونان، مما انعكس وتجلى بشكل مباشر على حياة الفرد العباسي وعلى ثقافته، ولم يخل الأدب وخاصة النثر على وجه الخصوص من هذا التغيير، فأصبح في صورة فنية متعددة الأنماط فنتج النثر العلمي، الفلسفي، والنثر الفني، حيث "تأثر العرب بحضارات

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص496/495.

الأمم، وسلك العرب منهج المزواجة بين الموروث الحضاري القديم والحضارة الجديدة، فخطّوا لهم طريقا جديدا حافظوا فيه على عاداتهم وتقاليدهم وتعاليم دينهم الإسلامي الحنيف"[1].

وقد شهد هذا الفن اتساعا في العهد العباسي، ولعل البعض يتساءل عن السبب، فبحكم تغير نظام الحكم من نظام شورى في عصر صدر الإسلام إلى نظام توريث الحكم، ففي فترات تغيير الحكم يكون " رؤساء الدول حريصين على تثبيت دعائم دولتهم، فترى هؤلاء الرؤساء يوصون قادتهم وولاتهم وشعوبهم، ويحذو رجال الدولة حذو رؤسائهم"[2].

وقد أولى رؤساء وحكام الدولة العباسية اهتماما بالغا بوصايا الأبناء "حتى ينشأ أبناؤهم متكاملين يجمعون إلى الذكاء السياسي سموا خلقيا" [3]، وذلك من أجل ضمان استمرار نظام الحكم الذي أصبح موروثا يجب المحافظة عليه جيلا بعد جيل.

وسنحاول فيما يلي عرض أهم أنواع الوصايا والظروف والمناسبات التي قيلت فيها والتي رأينا تصنيفها في الآتي:

أ_ الوصايا السياسية:

عندما نتحدث عن الوصايا السياسية لابد وبدون شك أن نعكسها على الواقع السياسي والظروف التي كانت تجري في تلك الحقبة، حيث" لم يكن قيام الدولة العباسية على أنقاض دولة بني أمية حدثاً عابراً من أحداث التاريخ الإسلامي انتهى بمجرد تغيير للأسرة الحاكمة، بل كان في واقع الأمر ثورة جذرية على النظام القديم، تهيأ لها النجاح بفضل دعوة منظمة وتنظيم سري دقيق يعبر – على حد تعبير أحد

[1] روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ص25.
[2] أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الإنجلو المصرية، ص31
[3] المرجع السابق، ص31.

المستشرقين– عن سخط عناصر مهمة من الأمة العربية الإسلامية على الحكم الأموي وعن رغبة مشتركة في إسقاطه"[1].

لذا كانت الوصية ضرورة حتمية لنقل معلومات وتوجيهات وخبرات لاستمرارية الحكم والسلطة، وقد كان حكام الدولة العباسية أصحاب ارتباط شديد بالدين وتعاليمه، ويرون أن القرآن الكريم وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم– هي المتن الشديد والبوصلة التي توجههم فلا يمكن فصل الدين عن الحكم، بل إن أحد أسباب المنازعات السياسية جذورها دينية، ومن أمثال هذا نجد وصية المنصور لابنه المهدي حيث فقال:

" اتَّقِ اللَّه فيما أَعْهد إِلَيْك من أُمور الْمُسلمين بعْدي، يجعل لَك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا، ويرزقْك السَّلَامَة وحسن الْعاقبَة من حيْث لَا تحْتَسب.

يا بنيَّ احفَظْ محمَّدًا – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – في أُمَّته، يحفظْك اللَّه، علَيك أُمورك، وإِيَّاك والدَّم والْحرام، فَإِنَّه حوبٌ عنْد اللَّه عظيم، وعارٌ في الدُّنيا لَازم مقيم، والْزم الْحُدود، فَإِنَّ فيها خَلَاصك في الْآجل وصَلَاحك في الْعاجل، ولَا تعْتَد فيها فتبور، فَإِنَّ اللَّه تعَالَى لَو علم أَن شَيْئًا أَصْلَح منْها لدينه وأَزْجر عَن معَاصيه لَأَمر به في كتَابه، واعْلَم أَنَّ من شدَّة غضَب اللَّه لسُلْطَانه أَمر في كتَابه بتَضْعيف الْعَذَاب والْعقَاب علَى من سعَى في الْأَرْض فَسادًا مع ما ذكر لَه من الْعَذَاب الْعَظيم فَقَال: " إِنَّما جزَاء الَّذين يحَاربُون اللَّه ورسُوله ويسْعَون في الْأَرْض فَسَادًا أَن يقَتَّلُوا أَو يصَلَّبُوا أَو تقَطَّع أَيْديهم وأَرْجُلهم من خلَاف أَو ينفَوا من الْأَرْض ذَلك لَهم خزْيٌ في الدُّنيا ولَهم في الْآخرَة عَذَابٌ عَظيم"[2] ، فَالسُّلْطَان، يا بنيَّ حبل اللَّه الْمتين، وعروته الْوُثْقَى، ودينه الْقيِّم، فَاحْفَظْه، وحصِّنه، وذُبَّ عنْه، وأَوقع بالْملْحدين فيه، واقْمع الْمَارقين منْه، واقْتُل الْخَارجين عَنْه بالْعقَاب،

[1] محمد خلدون أحمد نورس مالكي، دكتوراه– قسم الفقه الإسلامي وأصوله / جامعة دمشق، 2010، ص245.

[2] التوبة 33.

ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن، واحكم بالعدل، ولا تشطط، فإنَّ ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدَّواء، وعفَّ عن الفيء، فليس بك إليه حاجةٌ مع ما خلفه الله لك، وافتتح [عملك] بصلة الرَّحم وبرّ القرابة، وإيَّاك والأثرة والتبذير لأموال الرَّعيَّة، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السُّبل، وسكّن العامَّة، وأدخل المرافق عليهم، وادفع المكاره عنهم وأعدَّ الأموال، واخزنها، وإيَّاك والتبذير، فإنَّ النَّوائب غير مأمونة، وهي من شيم الزَّمان، وأعدَّ الكُراع والرِّجال والجُند ما استطعت، وإيَّاك وتأخير عمل اليوم إلى الغد، فتتدارك عليك الأمور وتضيع، جدَّ في إحكام الأمور النَّازلات لأوقاتها أوَّلًا، واجتهد وشمر فيها، وأعدَّ رجالًا بالليل لمعرفة ما يكون بالنَّهار، ورجالًا بالنَّهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر، ولا تكسل، واستعمل حسن الظَّن، وأسئ الظَّنَّ بعمَّالك وكتَّابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من تثبَّت على بابك، وسهل إذنك للنَّاس، وانظر في أمر النُّزَّاع إليك، ووكل بهم عينا غير نائمة، ونفسا غير لاهية، ولا تنم، وإيَّاك، فإنَّ أباك لم ينم منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينه الغمض إلا وقلبه مستيقظٌ. هذه وصيَّتي إليك، والله خليفتي عليك"[1].

يظهر بوضوح مدى ثراء الجانب الديني لدى المنصور، وحرصه على نقل هذه البذور الطيبة إلى ولده، فالمحور الديني " يأخذ متسعا كبيرا من وصية المنصور لولده المهدي، مؤكدا فيها على تقوى الله تعالى، محذرا إياه من الدنيا وزخرفها، ناصحا إياه العمل بطاعة الله تعالى، والابتعاد عم معصيته"[2]، فبحكم تجربة المنصور الحياتية يعلم ضمنيا أن المرء إذا ابتعد عن الله، واهتم بترف الحياة ومغرياتها، سيوقع حتما عدم توازن لديه، ويتلاشى كل ما ملكه من سلطة وحكم وحتى علم.

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3، ص37/38.

[2] روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ص28.

ومن الوصايا السياسية نجد أيضا وصية الأمين لأحمد بن مزيد فقال : " أوصيك بخصال عدة، إياك والبغي فإنه عقال النصر، ولا تقدّم رجلاً إلا باستخارة، ولا تشهر سيفًا إلا بعد إعذار، ومهما قدرت عليه باللين، فلا تتعدَّه إلى الخرق والشره، وأحسن صحابة من معك من الجند، وطالعني بأخبارك في كل يوم، ولا تخاطر بنفسك في طلب الزُّلْفَة عندي، ولا تستقها فيما تَخَوَّف رجوعه علي، وكن لعبد الله أخًا مصافيا، وقرينا برًّا، وأحسن مجامعته، وصحبته ومعاشرته، ولا تخذله إن استنصرك، ولا تبطئ عنه إذا استصرخك، ولتكن أيديكما واحدة، وكلمتكما متفقة[1]."

ب_ الوصايا الدينية:

عرفت الوصايا الدينية اتساعا كبيرا في العهد العباسي، نظرا لشدة ارتباط وتمسك الفرد العباسي بالدين من جهة وحبه لدينه، ومن جهة أخرى بسبب ظهور بعض السلوكيات الدخيلة على المجتمع العباسي، والسبب الجوهري يعود إلى تداخل الثقافات وامتزاجها خاصة بعد مجيء وفود من ثقافات مختلفة من الأجانب خاصة بلاد فرس، هذا ما نتج عنه ظهور طبقة الوعاظ حيث تكفلت في " توجيه وصاياهم الوعظية للخلفاء العباسيين متخذة من تسامح وسعة صدورهم لسماع نصحهم و إرشادهم طريقا لتوجيه وصاياهم الوعظية التي عنيت في الترغيب بالآخرة، والترهيب من الدنيا وزخرفها"[2].

ونتاجا للظواهر الدخيلة على المجتمع العباسي ظهر التصوف، وكان يدعو هذا الاتجاه أساسا إلى التقرب من الله عز وجل وحبه وفهم الغاية السامية من الوجود بعيدا عن ترف الدنيا وملذاتها، وقد تنوعت

[1] حمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3، ص110.
[2] المرجع نفسه، ص 51/50.

توجهات الوصايا الدينية، من وصايا دينية موجهة بشكل خاص الطبقة الحاكمة نذكر منها وصية شيبان الراعي للرشيد الذي طلبها الرشيد نفسه منه حيث قال شيبان الراعي فيها للرشيد: " اتق الله، فإنك رجل مسؤول عن هذه الأُمَّة، استرعاك اللَّه عليها، وقلدك أمورها، وأنت مسؤول عنها، فاعدل في الرَّعيَّة، واقسم بالسَّويَّة، وانفر في السَّريَّة، واتَّق اللَّه في نفسك، هذا الذي نخوفك، فإذا بلغت المأمن، أمنت هو أنصح لك ممن نقول لك :أَنتم أَهل بيت مغفور لكم، وأَنتم قرابة نبيكم (صلى الله عليه وسلم)وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك، حتَّى إذا بلغت الخوف، عطبت"[1].

نرى أن شيبان الراعي في وصيته أخذ مقام المذكر لحقيقة الرشيد أنه من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر الرشيد بمسؤولياته، فمن دهاءه وحكمته أنه لم يتخذ مقام الآمر، بل المذكر، لأنه يقف أمام حاكم ويعلم حجم كل قول يصدره، ولعل هذه من أبرز سمات وصايا الحكماء، أنهم يعطون لكل مقام مقال.

ومن الوصايا الدينية إلى كافة الناس نجد وصية داود بن نصير الطائي التي طلبها منه عبد الله بن ادريس فقال: " أَقْلِل معرِفَة النَّاس، قُلْت :زِدْني، قَال :ارض بِالْيسيرِ من الدُّنْيا , مع سَلَامَة الدِّين , كَما رضي أَهْل الدُّنْيا بِالدُّنْيا مع فَسَاد الدِّين , قُلْت :زِدْني قَال: اجْعل الدُّنْيا كيومٍ صُمْته , ثُمَّ أَفْطر على الْموت."[2]

ونجد في هذا الشأن أيضا وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد لله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما حيث قال فيها ما قل ودل على أن جذر بلوغ أي غاية في هذه الحياة هي تقوى الله فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد :فعليك بتقوى الله وحد لا شريك له".[3]

ج_ الوصايا الحربية:

[1] الجوزي، مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، دار الراية، الطبعة 1/ 1995، ج2، ص160/159.
[2] الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة مصر، 1974، ج7، ص343.
[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3، ص134.

الوصايا الحربية هي من أحد أنواع الوصايا التي كان لها حضور قوي في العهد العباسي بحكم الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تمر بها الدولة العباسية، " وغالبا ما صدرت الوصايا الحربية من الخلفاء إلى القادة العسكريين الذين خرجوا للقضاء على الخارجين عن السلطة المتمردين في بعض الأقاليم، أو ما توجه به الخلفاء للقواد في الخلفات السياسية التي رافقت الخلفاء وولاية العهد".[1]

وتختلف الوصايا الحربية من ناحية المضمون والأسلوب عن الوصايا الدينية والسياسية لأن المقام هنا مقام مختلف، إنه مقام مصير وأجل قريب، فاعتمد فيها الأسلوب المباشر الخالي من أي تعقيد، وقوة الألفاظ وإيجازها، ونذكر في هذا الشأن وصية المنصور لابن موسى في حرب بني عبد الله حيث قال: " يا أبا موسى، إذا صرت إلى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة والدخول في الجماعة؛ فإن أجابك فاقبل منه، وإن هرب منك فلا تتبعه؛ وإن أبى إلا الحرب فناجزه، واستعن بالله عليه، فإذا ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو؛ فإنهم الأصل والعشيرة، وذرية المهاجرين والأنصار، وجيران قبر النبي صلّى الله عليه وسلم؛ فهذه وصيتي إياك، لا كما أوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه إلى المدينة وأمره أن يقتل من ظهر إلى ثنية الوداع، وأن يبيحها ثلاثة أيام، ففعل، فلما بلغ يزيد ما فعله تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم أحد، حيث قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ..... جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم اكتب إلى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح، فإنهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه، ومنبت القوم والعشيرة، وعظماء البيت والحرم، لا تلحد فيه بظلم؛ فإنه حرم الله الذي بعث منه محمدا نبيه صلّى الله عليه وسلم، وشرف به آباءنا بتشريف الله إيانا؛ فهذه وصيتي، لا كما أوصى به الذي وجه الحجاج إلى مكة، فأمره أن

[1] روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ص33

يضع المجانيق على الكعبة، وأن يلحد في الحرم بظلم، ففعل ذلك، فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم:

أَلا لا يَجْهَلَنْ أحَـدٌ عَلَيْنـــا... فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهِلِينَـــا

لَنَا الدُّنيا، وَمَنْ أَضحَى عَلَيها ... ونَبطِشُ حينَ نَبطِشُ قَادِرِينَـــأ

كان المنصور يدرك أهمية التحصين ضد العدو وضرورة الاستعانة بالله وتقوي به، وأن فلاح وانتصار المسلمون من فلاحه ونصره، لذا لم ينس وهو على فراش الموت أن يوصي ابنه المهدي إذ قال له: " وليكن أهم أمورك إليك أن تحفظ أطرافك، وتسد ثغور، وارغب إلى الله في الجهاد، والمحاماة عن دينك، وإهلاك عدوك، بما يفتح الله على المسلمين، ويمكّن لهم في الدين، وابذل في ذلك مهجتك، ونجدتك ومالك، وتفقّد جيوشك ليلك، ونهارك، واعرف مراكز خيلك، ومواطن رحلك، وبالله فليكن عصمتك، وحولك، وقوتك.[1]

نلاحظ في الوصايا الحربية جانب تقوية النفس ضد العدو، وربط هذا كله بالاستعانة بالله، فالجانب الديني يغلب على أغلب الوصايا، لأن الباحث في التاريخ العباسي يجد أن أغلب الحروب التي حدثت آنذاك كانت جذورها العميقة دينية.

ونجد في هذا الشأن أيضا وصية الأمين لابن ماهان فقال: "" امنع جندك من العبث بالرعية، والغارة على أهل القرى، وقطع الشجر، وانتهاك النساء، وولِّ الريَّ يحيى بن علي، واضمم إليك جنداً كثيفاً، ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجيء من خراجها، وولِّ كل كُورة ترحل عنها رجلاً من أصحابك، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه، وأحسن جائزته، ولا تعاقب أخا بأخيه، وضع عن أهل خرسان ربع الخراج، ولا تأمن أحدا رماك بسهم، أو طعن في أصحابك برمح، ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة أيام، من اليوم الذي تظهر فيه عليه، فإذا أشخصته، فليكن مع أوثق أصحابك عندك، فإن

[1] الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد 120، ص34.

غرَّه الشيطان فناصبك، فاحرص علي أن تأسره أسرا، وإن هرب منك إلى بعض كُور خراسان، فتولَّ إليه المسير بنفسك، وأفهمتَ كل ما أوصيك به؟."

قال :نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، قال :سر على بركة الله وعونه."[1]

د_ وصايا الحكماء:

الحكيم هو المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيم، قد أحكمته التجارب[2]، فوصايا الحكماء هي نتاج تجارب حياتية وثمرات تعلم، تعطى من باب النفع العام أو الخاص للناس أو أفراد بعينهم، وهي أشبه ما يكون بأسرار حياتية، وهي عادة ما تتميز بالإيجاز وتلامس مشاعر المتلقي، لأنها نابعة من عمق الموصي دالة على مدى رجاحة عقله وقوة منشئه.

نذكر في هذا الشأن وصية حكيم لابنه في الاتزان والاعتدال في طلب الأمور، وتحمل في مضمونها حسن التوكل على الله والاستسلام إلى مشيئته وعدم التعلق بالأشياء مهما كانت فقال: " لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تتّكل على القدر اتّكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة، والإجمال في الطلب من العفّة، وليست العفّة بدافعة رزقا، ولا الحرص بجالب فضلا".[3]

ومن وصايا الحكماء لأصدقائهم نجد حكيم يوصي صديقه فقال: " لا تكثرن معاتبة إخوانك، فيهون عليهم سخطك".[4]

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3، ص105.

[2] لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، 12/ 143، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص32

[3] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج8، ص188.

[4] حازم خنفر، غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2009، ص96.

ولم تكن وصايا الحكماء موجهة فقط لعامة الناس والمقربين، بل كانت توجه في غالب الأحيان إلى الفئة الحاكمة نذكر منها أيضا وصية ابن خريم على المهدي، وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد أن يغزيهم جيشا، فقال: يا أمير المؤمنين، عليك بالعفو عن الذنب، والتجاوز عن المسيء، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف".[1]

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص61.

الفصل الثاني:

القيم الجمالية في فن الوصية في العصر العباسي

المبحث الأول: نماذج من الوصايا في العصر العباسي

عرف العصر العباسي عديدا من البلغاء الذين لهم خبرة وتجربة وحنكة في الحياة، فأرادوا أن يبلغوها لمعاصريهم وللأجيال اللاحقة للاستفادة منها، وذلك عن طريق نصحهم وارشادهم وتوجيههم، ولا ريب أن تلك الوصايا تحمل قيما جمالية عديدة ومن بين هؤلاء:

أولا: وصية المنصور لابنه المهدي حيث قال[1]:

"اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي، يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب، احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته، يحفظ الله عليك أمورك، وإياك والدم الحرام، فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحلال، فإن فيه ثوابك في الآجل، وصلاحك في العاجل، وأقم الحدود، ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه، وأزجر عن معاصيه من الحدود، لأمر به في كتابه، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم، فقال " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" ، فالسلطان يا بني حبل الله المتين، وعروته الوثقى، ودين الله القيم، فاحفظه وحطه، وحصنه وذب عنه، وأوقع بالملحدين فيه، واقمع المارقين منه، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم، والمثلات بهم، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن، واحكم بالعدل ولا تشطط، فإن ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدواء، وعف عن الفيء، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة، وإياك والأثرة، والتبذير لأموال الرعية، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السبل وخص الواسطة ووسع المعاش،

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج 3 ص110.

وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم، واصرف المكاره عنهم وأعدل الأموال واخزنها، وإياك والتبذير، فإن النوائب غير مأمونة، والحوادث غير مضمونة، وهي من شيم الزمان، وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد، فتتدارك عليك الأمور وتضيع، جد في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولًا فأولًا، واجتهد وشمر فيها، وأعدد رجالًا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالًا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر، ولا تكسل، ولا تفشل، واستعمل حسن الظن بربك، وأسئ الظن بعمالك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت على بابك، وسهل إذنك للناس، وانظر في أمر النزاع إليك، ووكل بهم عينا غير نائمة، ونفسا غير لاهية، ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة، ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ، هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك"

ثانيا: وصية الشيبان للرشيد حيث قال [1] :

شيبان الراعي فيها للرشيد: «اتق الله، فإنك رجل مسؤول عن هذه الأُمَّة، استرعاك اللَّه عليها، وقلدك أمورها، وأنت مسؤول عنها، فاعدل في الرَّعيَّة، واقسم بالسَّويَّة، وانفر في السَّريَّة، واتَّق اللَّه في نفسك، هذا الذي نخوفك، فإذا بلغت المأمن، أمنت هو أنصح لك ممن نقول لك: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم (صلى الله عليه وسلم) وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك، حتى إذا بلغت الخوف، عطبت".

ثالثا: رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد[2]:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

[1] الجوزي مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن دار الراية، سنة 1995، ج 2 ص 159-160.

[2] ابن يونس الصقلي، الجامع لمسائل المدونة باب الثامن والعشرون ص238.

فإنّي أكتُبُ إليكَ بكتابٍ لَمْ آلُكَ فيه رُشْداً، ولم أدَّخِرْ فيه نُصْحا، تحميداً لله وأدباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدبَّرْه بعقلك وردِّدْ فيه بصرك وأَرْعِه سمعك، ثُمَّ اعقِلْه بقلبك وأحضِرْه فهمك، ولا تُغَيِّبَنَّ عنه ذهنك. فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة، والله أسأل لنا ولك التوفيق.

اُذْكُرْ نفسك في غمرات الموت وكربه، وما هو نازلٌ بك منه، وما أنت موقوفٌ عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه، ثم الحساب ثم الخلود بعد الحساب، وأَعِدَّ لله عز وجل ما يُسَهِّلُ به عليك أهوال تلك المشاهد وكُربها؛ فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى وما صاروا إليه من أهوال العذاب وشدَّة نقمته عليهم، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم مع كُلوحِ وجوههم وطول غمهم، وتقلُّبهم في دركاتها على وجوههم لا يسمعون ولا يبصرون، ويدعون بالويل والثبور، وأعظم من ذلك حسرة وبليَّةً عليهم إعراض الله تعالى عنهم، وانقطاع رجائهم، وإجابته إيَّاهم بعد طول غمهم ودوام حزنهم بقوله: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1]، لم يتعاظم شيءٌ من الدنيا إلا طلبت به النَّجاة من ذلك، وأردت به الأمان من أهواله، ولو قدَّمت في طلب النَّجاة من تلك الشدائد جميع ما ملك أهل الدنيا لكان صغيراً حقيراً.

ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل، وشريف منزلتهم عنده، مع قربهم منه عز وجل، ونضرة وجوههم ونور ألوانهم، وسرورهم بالنعيم المقيم، والنظر إليه سبحانه والمكانة منه، لتقلَّل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الآخرة.

فاحذَرْ على نفسك -يرحمك الله- حذراً غير تغرير، وبادر بنفسك قبل أن تُسبق إليها وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت، وخاصم نفسك على مهل وأنت تقدر بإذن الله عز وجل على جرِّ المنفعة

[1] – سورة "المؤمنون " 108.

إليها ودفعِ البليَّة عنها، قبل أن يتولّى اللهُ حسابها، ثم لا تقدرُ على صرفِ المكروهِ عنها ولا اكتسابِ المنفعة لها، ولا تجدُ لها حجَّةً ولا عذرا، فتبوء بسوءِ كسبها.

واجعلْ للّه نصيباً من نفسك بالليل والنهار: صلِّ بالنهارِ اثنتي عشرة ركعةً، واقرأْ في كلِّ ركعةٍ بالحمد وما أحببت من القرآن، إن شئْتَ صلَّيتهنَّ جميعا وإن شئت صليتهنَّ متفرقات، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صلّى من النهار اثنتي عشْرة ركعةً بنى الله له بيتاً في الجنة)؛ وصلِّ من الليلِ ثمان ركعاتٍ بجزءٍ من القرآن، وأعْطِ كلَّ ركعةٍ حقَّها والذي ينبغي فيها من تمامِ الركوعِ والسجود، وصلِّهنَّ مثْنى مثْنى، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلّي من الليل ثمان ركعاتٍ والوترَ ثلاثَ ركعات سوى ذلك، يسلّم من كل اثنتين.

وصمْ ثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهر، الثالثَ عشر والرابع عشر والخامس عشر، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(ذلك صيام الدهْرِ).

وأعْطِ زكاةَ مالك طيِّبةً بها نفسُك حين يحولُ عليه الحولُ، ولا تؤخّرْها بعْدَ حلِّها، وضعْها فيمن أمرَ اللهُ تعالى، ولا تضعْها إلا في أهلِ ملّتك من المسلمين، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى لم يرضَ في الصَّدقة بحكْمِ نبيٍّ ولا غيرِه حتى جزَّأها هو عز وجل على ثمانية أجزاء، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾[1].

[1] – سورة التوبة 60.

واحْجُجْ حجَّةَ الإسلامِ منْ أطْيبِ مالكَ وأزْكاهُ عندكَ، فإن الله لا يَقْبلُ إلا طَيِّباً، وبلغني أن قوله تعالى ﴿واذْكُرُوا اللّهَ في أيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فمَن تعجَّلَ في يومينِ فلاَ إثْمَ عليْهِ ومَن تأخَّرَ فلا إثْمَ عليْهِ لمنِ اتقى﴾[1] فإنه يُغْفَرُ للمتعجِّلِ والمتأخِّرِ.

مُرْ بطاعةِ الله وأَحْبِبْ عليها، وانْهَ عن معاصي الله وأَبْغِضْ عليها، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(مُرُوا بالمعروفِ وانْهَوْا عن المنكرِ، فإنه ما هَلَكَ منْ كانَ قبْلَكم إلا بتركِهم النَّهي عن المعاصي ولم ينههم الربَّانيُّون والأحبارُ، فمُرُوا بالمعروفِ وانْهَوْا عن المنكرِ قبل أن ينْزِلَ بكم الذي نَزَلَ بهم، فإن الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ لا يُقدِّمُ أجلاً ولا يَقْطَعُ رزقا).

أحْسِنْ إلى منْ خوَّلَكَ الله تعالى، واشكرْ تفْضيلَه إياكَ عليهم، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُصلِّي فانْصرفَ وقال: (أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ، فمن كان له خولٌ فلْيُحْسِنْ إليهم، ومن كُرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ، ولا تعذِّبوا خَلْقَ الله).

الزمِ الأدبَ فيمنْ وُلِّيتَ أمرَ أدبِه ومنْ يجبُ عليكَ النظرُ في أمرِه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للْفَضْلِ بنِ العباس: (لا ترفعْ عصاكَ عنْ أهلِك، وأخِفْهم في الله عز وجل).

لا تَسْتَسْلِمْ إلى الناسِ واسْتَهْدِهم في طاعةِ الله، لا تَغْمِصِ الناسَ واخفضْ لهم جناحَك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا أُحدِّثُكم بوصيةِ نوحٍ صلى الله عليه وسلم ابْنَه، قال: آمرُكَ باثنتين وأنْهاكَ عن اثنتين، آمرُكَ بقول لا إله إلا الله، فإنها لو كانت في كفَّةٍ والسماواتُ والأرضُ في كفةٍ وزنَتْهما، ولو كانتا حلقةً قَصمتْها، وآمرك أن تقول: سبحان الله وبحمده، فإنها عبادةُ الخَلْقِ وبها يعطَون أرزاقَهم، وإنهما يُكَثِّرانِ لمنْ قالَهما الوُلوجَ على الله عز وجل؛ وأنْهاكَ عن الشِّركِ والكِبرِ، فإن الله مُحْتَجِبٌ منهما، فقال

[1] – سورة البقرة 203.

له بعضُ أصحابه: أمِنَ الكِبْر أن يكونَ لي الدابةُ النَّجيبةُ؟ قال: لا، قال أمِنَ الكبر أن يكونَ لي الثوبُ الحسن؟ قال: لا، قال: أمِنَ الكبر أن يكون لي الطعامُ أجمعُ عليه الناس؟ قال: لا، إنَّما الكِبر أن تَسْفَهَ الحقَّ وتَغْمص الخلق).

إياكَ والكِبْرَ والزَّهْوَ فإن الله عز وجل لا يُحبُّهما، وبلغني عن بعض العلماء أنه صلى الله عليه وسلم قال:(يُحْشَرُ المتكبّرون يوم القيامة في صور الذَّرِ تطؤُهم الناسُ بتكبُّرِهم على الله عز وجل).

لا تأْمَنْ على شيءٍ من أمْرِك مَنْ لا يَخافُ اللهَ، فإنه بلغني عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه قال: (شاوِر في أمرِك الذين يخافون الله).

احْذَرْ بِطانةَ السوءِ وأهلَ الرَّدى على نَفْسك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما مِنْ نبيٍ ولا خليفةٍ إلا ولَه بِطانتان، بِطانةٌ تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنْكرِ وبِطانةٌ لا تألُوه خبالاً وهو مع التي اسْتَوْلَتْ عليْه، فمَنْ وُقِي بِطانةَ السُّوءِ فقد وُقِي شرّاً كثيرا)، فاسْتَبْطِنْ أهْلَ التقْوى من الناس.

أكْرِمْ ضيفَك فإنه يحقُّ عليك إكْرامه، وأَدِّ حقَّ جارِك ببذْلِ المعروف وكَفِّ الأذَى عنه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيكْرِم جاره ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلْيكْرِم ضيفه).

تكلَّمْ بخيرٍ أو اصْمتْ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَسْكُتْ)، واتَّقِ فُضولَ المَنْطِقِ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أُنْذِرُكُمْ فُضولَ المنْطِقِ).

أكْرِمْ مَنْ وادَّكَ وكافِئْهُ بمودَّته إياك، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادْعوا له حتَّى يعْلَمَ أنْ كافأْتُموه).

وإياك والغضب في غيرِ الله، وقد بلغني أن رجلا قال يا رسول الله أوصني ولا تُكْثِر عليَّ فأنسى فقال: لا تغضب، لا تأمر بخيرٍ إلا بدأت بفعله، ولا تنه عن سوءٍ إلا بدأت بتركه.

دَعْ من الأمرِ ما لا يعنيك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من حسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه).

صِلْ من قطعك واعْفُ عمَّن ظلمك وأعْطِ من حرمك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنَّها أفضل أخلاقِ الدنيا والآخرة).

اتَّقِ كثرةَ الضحك فإنه يدعو إلى السَّفه ويذهب بنورِ الوجه وبهاءِ المؤمن، فإنه بلغني أن ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان تبسُّماً.

لا تمزح بما تُذَمُّ به نفسك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(إنّي لأَمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقّاً).

لا تُخالفْ إلى ما نهيت عنه، وإذا نطقت فأوجز، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وهل يكُبُّ الناس في نارِ جهنم إلا هذا) – يعني اللسان–.

ولا تصعِّرْ خدَّك للناس وألِنْ لهم جناحك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أهلُ الجنة كل هيِّنٍ لَيِّنٍ سهلٍ طَلْقٍ).

اترُكْ من أعمالِ السِّرِّ ما لا يحسُنُ أن تعمله في العلانية، واتَّقِ كلَّ شيءٍ تخافُ فيه تُهْمَةً في دينك ودُنياك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فلا يقِفْ مواقفَ التُّهمِ).

أَقْلِلْ طَلَبَ الحوائجِ من الناس، فإن في ذلك غَضاضَةً، وقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل: (لا تَسأَلِ الناسَ شَيْئاً).

لِيَكُنْ مَجْلِسُك بيتَك أو مسجدَك، فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المساجدُ بُيوتُ المتّقين).

لا تُكْثِرِ الشُّخوصَ من بيتك إلا في أمرٍ لابُدَّ لك منه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثمانيةُ مجالسَ المسلمُ ضامنٌ على الله: ما كان في شَيءٍ منهُنَّ في سبيلِ الله، أو في بيت الله، أو في عيادة مريض، أو شُهودِ جنازةٍ، أو جمعةٍ، أو صلاةٍ فريضةٍ، أو في طَلَبِ علمٍ، أو عِنْدَ إمامٍ مُقْسِطٍ يعزِّره ويُوَقِّره).

أَحْسِنْ خُلُقَك مع أَهْلِك ومَنِ اعْتَزَّ بِك، فإن في ذلك رضاً لِرَبِّك ومَحَبَّةً في أهلك ومَثْراةً في مالك ومَنْسَأَةً في أَجَلِك، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ذلك وأمر به معاذ بن جبل.

أَحْسِنِ البِشْرَ إلى عامَّةِ الناس، فإنه بلغني أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ طَلْقَ الوَجْهِ ويكْرَه العبوس).

اتَّقِ شَتْمَ الناس وغِيبتَهم، فإن الله تعالى قال: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اجْتَنِبوا كَثيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (احْذَروا حَسَناتِكُم لا تَنْسَلَّ منكم كما يَنْسَلُّ الماء من يدِ أحدكم، قالوا بماذا يا رسول الله؟ قال: بالاغتياب) وقال: (لا تَشْتُمِ الناس).

اتَّقِ الفُحْشَ ومجالسةَ أهْلِ الرَّدى والفسوقِ، ومحادثةَ السَّفلةِ من الناس، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (اعتبِرِ الناسَ بأخْدانهم فإنما يُخادِنُ الرجلُ الرجلَ مثلَه).

أكْرِمِ اليتيمَ وارْحَمْه واعْطِفْ عليه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كَفَلَ يتيما له أو لِغَيْرِهِ كُنْتُ أنا وهُوَ في الجنة كهاتَيْن، وأشارَ بإصْبَعَيْه السَّبَّابةِ والوُسْطَى فَضَمَّهما).

اعرِفْ لابْنِ السبيلِ حقَّهُ واحْفَظْ وصيةَ الله تعالى فيه، فإنه بلغني أن أوَّلَ من ضافَ الضيفَ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام.

أَعِنِ المظلومَ وانصُرْه ما استطعتَ، وخُذْ على يدِ الظالمِ واكْفُفْهُ عن ظُلْمِه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(من مشى مع مظلومٍ حتى يثْبِتَ له حقه ثَبَّتَ الله قدمه يوم تزول الأقدام).

إذا عطَسْتَ في الخَلاءِ فاذكر اسمَ الله خفياً وأسرَّ ذلك فإنه يصعد لقول الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

لا تَدَّهِنْ في مداهِنِ ذهبٍ ولا فضةٍ، ولا تَسْتَجْمِرْ في مجامرهما، ولا تشربْ في آنيتهما، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشُّربِ في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسِ الحريرَ والديباجَ ولا تَنَم عليهما، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء.

إذا رأيت أمراً في أهْلِكَ وخاصَّتِك ممَّا ينبغي تغْييرُه فلا تُحابِيَنَّ منهم أحداً، وقُمْ فيه بالذي يحقُّ لله عز وجلَّ عليك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما).

إذا هَمَمْتَ بأمرٍ من طاعة الله عز وجل فلا تحبِسْه إن استطعتَ فواقاً حتى تُمْضِيَه، فإنك لا تأْمَنُ الأحداثَ، وإذا هممت بأمر فيه لله عز وجل معصيةٌ فلا تُمْضِه، ولا تَسْتَحْيِ إذا دُعيتَ إلى أمرٍ ليس بحقٍّ أن تقول: "لا"، فإن الله تعالى يقول: ﴿واللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

إذا سمعتَ المؤذّنَ فقُلْ كما يقول، إلا أنك تقول إذا قال: "حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح":" لا حول ولا قوة إلا بالله" فإنه بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لا تَخْلُوَنَّ بامرأةٍ لَيْستْ لكَ بمحرم فإنه بلغني عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما خلا رجلٌ بامرأةٍ ليستْ له بمحرمٍ إلا كان ثالثهما الشيطان).

إذا قال الإمامُ عندْ فراغه من قراءة أُمِّ القرآن: آمين فقُل آمين، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يقول آمين، وأن يقولها منْ خلْفه سرّاً، ولا يجهر بها أحدٌ منهم فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا أمَّنَ الإمام فأمّنوا، فإن الملائكة تؤمّنُ لتأمين الإمام، فمن وافق منكم تأمينَ الملائكة غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه).

إذا قضيْتَ الحاجةَ فلا تبدأْ بشيءٍ حتى تغسلَ فرْجك بالماء، فإنه بلغني أنه لَمَّا نزلت هذه الآية ﴿فيه رِجال يُحبُّون أَنْ يتطَهَّروا﴾، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُوَيْمِ بنِ ساعدة فقال " ما هذا الطُّهور الذي أَثْنَى اللَّه عليكمْ ؟" فقال: يا رسول الله ما خرَجَ منَّا رجلٌ ولا امرأةٌ من الغائط إلا وغسلَ فرجه، أو قال مقْعدته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو ذاك.

إذا أكلتَ طعاما فعلقَ بين أصابعك فالْعقْها، وأسنانَك فتخلّلْ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(حبَّذا المتخلّلون منْ أمَّتي) وقال: (ليس شيءٌ أشدَّ على الملَك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي).

إذا نزلتَ منزلاً فقُل "أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق"، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من نزَل منزِلا فقال هذه الكلمات وقِي شرَّ منزِله حتَّى يرتحِلَ منه).

لا تأكل شيئاً من ثمن طعامٍ لا يحلُّ لك أكْلُه، ولا شيئاً من ثمن شرابٍ لا يحلُّ لك شُرْبُه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الخمر: (إنَّ الذي حرَّم شُرْبها حرَّم بيْعها) ، ولا تتداو بشيءٍ لا يحلُّ لك أكْلُه ولا شُرْبُه، ولا تبعْه ولا تشْتَرِه ولا تطْعَمه ولا تُطْعمه أحداً، ولا تسْقه ولا تداوِ به صغيراً ولا كبيراً ولا بهيمةً ولا غيرها، فإنه بلغني عن بعضِ علماءِ الصحابة أنه بُعِثَ لبعيرٍ له خمرٌ فقال: (لا والله لا أوجِره خمراً ولا أطلُب نفْعاً بما حرَّم الله).

لا تأكل لحم شيءٍ من السِّباع ولا ذا مخْلَبٍ من الطيْرِ، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكْلِ كلِّ ذي نابٍ من السِّباعِ وكلِّ ذي مخلَبٍ من الطير.

إذا فزِعتَ في منامك فقُل: (أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، ومن شرِ عباده ومن شر الشياطين وأن يحضرون) فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا فزِعَ أحدكم في منامه فلْيقُل ذلك).

إذا قلتَ لأحد: "أقْسمتُ عليك لتَفْعلَنَّ كذا وكذا" فلم يفْعلِ الذي أقسمتَ عليه أن يفعلَه وجَبَ عليك الحنْث وكفِّرْ عن يمينك، وكذلك إذا كنتَ وقتَّ له وقتا معلوما فتركه حتى جاوزَ الوقت.

لا تبدأنَّ أحدا من غيرِ أهْلِ الإسلام بالسَّلام، ولكن لو سلَّم هو فقُلْ "وعليكم"، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك.

لا بأس أن تأكل وأنت جنب وإن كنت لم تتوضأ إذا غسلت يديك.

لا تقُول لأحد: «صلى الله عليك"، فإنه بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لا تنبغي الصلاة من أحدٍ لأحدٍ إلا للنبي عليه السلام)، ولا تقُل لأحدٍ "جعلني الله فداءك"، فإنه بلغني أن الزبير قال للنَّبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو مريضٌ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أما تركْتَ أعْرابيتك بعد يا زبير؟) ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال: (لا يفْدينَّ أحدٌ أحداً).

لا بأس بمصافحة الجُنُب ومُباشرته، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال: (أربعةٌ ليس عليهم جنابةٌ: جسدُ الإنسان والماء والثوب والأرض).

لا بأس بمُصافحة اليهوديّ والنصراني والصلاة في بيوتهم.

لا تبلُغْ بشيءٍ من أدبك إذا أدَّبت وعاقبت أحداً على جُرْمٍ اجترمه أربعين سوطا، قال صلى الله عليه وسلم: (من بلغ حداً في غير حدٍّ فهو من المُعْتدين).

إذا أحببْتَ أحدا لله فأعْلمْه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له: إني أحبُّ فلانا لله قال: أما أخْبرْته؟ قال: لا، قال فأخْبِرْه، فلما أخبره قال: أحبَّك الله الذي أحببْتني له).

لا تشْفع في من وجب عليه حدٌّ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحل دونه، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، وقد بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه شفع لسارقٍ فقيل له: أتشْفع فيه وأنت من الصحابة؟ فقال لا بأس أن أشفع له قبل أن يبلغ الإمام، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه.

الْزَم الصَّمْتَ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يستكْمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يخْزن لسانه).

وإذا أتيت قريةً أو بلدا فقل قبْل دخولها: اللهم ارْزُقْنا خيرها وخير أهلها، وأعذْنا من شرها وشرّ أهلها، اللهم ارزُقْنا خيْرها وحِباءها واصْرِفْ عنا وباءها، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا دنا من قرية.

إذا عطَست فقل الحمد لله، فإن قال قائل "يرحمك الله" فقل "يَهْديكُم الله ويُصْلح بالَكم ويغفر لكم"، فإنه بلغني ذلك عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك، ولا تُشَمِّتْ أحدا يعْطِس عندك حتى

تسمعه يحمد الله، فإذا فعل فشمته، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من حق المسلم على المسلم تشميت العاطس إذا حمد الله).

وقر الكبير وارحم الصغير، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا).

لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا لك بملك يمين، ولا تضع يدها على شيء من جسدك، ولا تضع يدك على شيء من جسدها، ولا تقبل يدك ولا شيئاً من جسدك، ولا تعانق رجلاً ولا تقبل جبهته ولا شيئاً منه، ولا بأس أن تصنع ذلك بذي رحمك، فإنه بلغني أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة قام إليه وضمَّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه.

لا ترفع صوتك في مسجد جماعة، ولا تشهر فيه سلاحا، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

إذا دعيت إلى تحمُّل شهادة فإنك مخيَّر، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت لها.

لا تمنن على أحد بإحسانك فإنه يبطل أجرك قال عز وجل: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾.

ومن أولاك معروفا وعجزت عن مكافأته فأثن عليه واذكره به، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أولي معروفا فلم يقدر على المكافأة إلا بالثناء فقد شكره ومن كتمه فقد كفره).

إذا طعمت وعندك أحد فادعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قيل لمن هي قال لمن أطعم الطعام وتابع الصيام وقال طيب الكلام وصلى بالليل والناس نيام).

إذا عملت عملا لله فأحسنه لقوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.

لا تعجل على أحد بعقوبة ولا تتهمه حتى تحققه.

لا تأت أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حسّك، قال صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حقَّ الحياء، قالوا كيف نستحيي من الله حقَّ الحياء؟ قال احفظوا الرأس وما حوى والبطن وما وعى، واذكروا الموت والبلى وذروا زينة الحياة الدنيا).

إذا أصبحت فقل:" اللهم لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد، لا شريك لك، إنك على كل شيء قدير" عشر مرات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قالها عشر مرات حين يصبح وكل به ملكان يحرسانه حتى يمسي وإذا قالها ليلا فكذلك حتى يصبح).

إذا كنت في العيدين والجمعة ويوم عرفة بعرفة، فاغتسل، وإن توضأت أجزأك، فقد سأل رجل علياً عن الغسل فقال: للجمعة والعيدين وعرفة.

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله وتدعو، ولكن استقبل القبلة وقل: "الله أكبر الله أكبر الحمد لله، اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر، وأعوذ بك من شر القدر وشر يوم المحشر".

لا تؤمَّنَّ أحدا في بيته ولا سلطانه إلا أن يأذن لك، وذلك أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يؤمَّنَّ الرجل الرجل في بيته ولا في سلطانه إلا بإذنه).

ولا تحبَّ من الناس أن يمثلوا لك قياما، قال صلى الله عليه وسلم: (من سرَّه أن يمثل له بنو آدم قياما وجبت له النار).

أجب الدعوة إذا دعيت، قال صلى الله عليه وسلم: (الدعوة يوم العرس حقٌّ) وقال: (لو دعيت إلى كراع لأجبت).

إذا حلَفْتَ على شيءٍ وحلَفَ والداكَ أو أحدُهما على خلافِه فأَطِعْهُما ما لَمْ يكنْ معصيةً.

احتجِمْ في سبعَ عشرةَ وتسعَ عشرةَ وإحدى وعشرين، فقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بذلك.

إذا عُدْتَ مريضا فخَفِّفِ العيادةَ وأَقِلَّ اللُّبْثَ.

وإذا مررتَ بالمقابرِ فقُلْ: "السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين وإنَّا إن شاء الله بِكُم لاحقون، أنتم لنا فَرطٌ ونحن لكم تبع، أسأل الله لنا ولكم العافية".

لا بأسَ أن تَمْشِي أمامَ الجنازةِ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وعثمان أنهم كانوا يمشون أمامها، وإذا كنتَ راكبا فلا تسبِقْها، وإذا انْتُهِي بها إلى القبور فَلا تَنْزِلَنَّ حتى تُوضَعَ عن عواتقِ الرجال، فإنه بلغني ذلك عن بعض الصحابة.

لا تنفُخْ في الطعامِ والشرابِ فإن ذلك من الجفاءِ، قاله بعض العلماء.

ارْفَعْ يدَك في عشرةِ مواطنَ: إذا دعوتَ عند افتتاحِ الصلاة، والعيدين، والقنوتِ، والتكبيرِ، وعند استلام الحجرِ، وعرفة، والجمعِ، والصفا، والمروة، والجمارِ، رُوِي ذلك عن ابن عباس، وعند افتتاحِ الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تُحاذِيَ إبهامُك أذنَك وتبسطهما عند صدرِك في باقي ذلك.

لا تَلْعَبْ بالنَّرْدِ، فقد لَعَنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اللاعبَ به، وقال "إياكم وإياه".

لا تَمضغِ العِلْكَ، ولا تَحلُلْ إزارَك ولا تتجرَّدْ ولا تَخْذِفْ، قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنها مِنْ أخلاقِ قومِ لوط).

اجْمَعِ الصُّوَّمَ عندَ فِطْرِك على طعامِك، قال صلى الله عليه وسلم: (من فطَّرَ صائما كان له مِثْلَ أجرِه، ولا ينْقَص من أجرِ الصائمِ شيء).

[واعلَمْ رحمك الله أنَّ الله قد ساق إليك من موعظتي ونصحي ما أرجو أن ينفعك الله به ويأجرني عليه، فتفهَّم رحمك الله ذلك وفقك الله، واعلَمه واعمل به، وابدأ بما ترجو به القُربة إلى الله عز وجل، ووظِّف ذلك على نفسك، وتعاهدها بما بيَّنت لك وثابر عليه والزمه واستعن بالله، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وفقنا الله وإياك لطاعته، وجنَّبنا وإياك معاصيه، وختم لنا ذلك بما يرضيه، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا].

المبحث الثاني: القيم الجمالية في هذه الوصايا.

لقد تجلت في الوصايا عدة قيم جمالية لغوية من شأنها زيادة جمال المعنى وإظهار الوصية بصورة جد حسنة، لقد تم دراستها من كافة النواحي حيث اعتمدنا في هذا التحليل على عدة أسس وهي كالتالي:

أ. **الأفكار**: أجمع العرب على أن الأمر الجميل لا بد أن يجمع بين المتعة الفنية والفائدة الفكرية لذلك سنبدأ بالأفكار في دراسة القيم الجمالية لهذه الوصايا:

1. وصية المنصور لابنه المهدي:

يتجلى قوة الوازع الديني لدى المنصور ظاهريا، وحرصه على نقل هذه البذور الطيبة إلى ولده، فالمحور الديني " يأخذ متسعا كبيرا من وصية المنصور لولده المهدي، فالغرض هنا تأديبي تربوي، حيث يوجهه ويرشده ليكون مقيما مستقيما، وهذا الغرض فطري وموجود منذ القدم، إذ أن الآباء عموما حريصون على استقامة أبنائهم.

والأفكار في هذه الوصية واضحة وبسيطة ومتتابعة، بدأها المنصور بنصح ابنه بتقوى الله الذي هو أساس كل عمل صالح، ثم بعد ذلك بدأ بتذكيره بالحلال والحرام وحدود الله ووصاه بعدم الاعتداء عليها، كما أمره بتقوى الله في رعيته وتوصيته بعد اغفالهم، واختتم في الأخير وصيته بتذكيره برقابة الله عليه.

2. وصية الشيبان للرشيد:

نرى أن شيبان الراعي في وصيته أخذ مقام المذكّر لحقيقة الرشيد أنه من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر الرشيد بمسؤولياته، فمن دهاءه وحكمته أنه لم يتخذ مقام الآمر، بل المذكر، لأنه يقف أمام حاكم ويعلم حجم كل قول يصدره، ولعل هذه من أبرز سمات وصايا الحكماء، أنهم يعطون لكل مقام مقال.

الغرض من هذه الوصية هو الارشاد والتذكير بطاعة الله وتقواه، وهو ما استهل به الشيبان وصيته، إذ أن التقوى هو مصدر كل فعل نبيل.

3. رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد:

في هذه الوصية ذكر الإمام مالك في بدايتها أنه لم يبخل أبدا في النصح والرشد وأنه جد واجتهد في ذلك قدر المستطاع، حيث اجتمع في هذه الوصية النصح مع التأدب في الكلام بشكل جميل وملفت، حيث تجلى ذلك في بداية الوصية عندما طلب منه الإصغاء بعقله وقلبه والتدبر في معانيها وما فيها من إرشادات من شأنها الزيادة في الرفعة عند الله تعالى.

ذكره بداية بالموت وأن كل من عليها فان، فالموت هو أعظم المواعظ وأبلغها كما ذكره بأنه سيقف بين يدي الله يوم الموقف العظيم وهو يوم الحشر والمحشر وهذا اليوم جميع الناس ستقف بين يدي الله لتحاسب عن أعمالها.

حذره على نفسه من بطانة السوء وأهل الردِي ونصحه بتحصينها، ذكره بطاعة الله وبالصلاة والزكاة وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى رعيته وعدم اهمالهم، وإكرام الضيف والتأدب في الكلام وإنصاف المظلوم وصلة الرحم وفعل الخير وترك الشر، والعديد من النصائح القيمة الجميلة صراحة، والتي جاء بها ديننا الحنيف وخُلق نبينا محمد.

واختتم الإمام مالك وصيته بنصحه بالاقتراب من الله تعالى والاستعانة به وبدعوته للجميع بالتوفيق وفي الختام حمد الله تعالى.

ب. العاطفة: إن العواطف النبيلة تظهر بصفة بارزة في الوصايا فهي الدافع أساسا في كتابة الوصية، فالنصيحة الصادقة تنبع من المحبة، وهدفها دائما هو الارشاد إلى الخير وهذا هو منبع الصفاء ومظهر الوفاء وصفة النبلاء.

1.وصية المنصور لابنه المهدي:

تلك الأفكار نابعة عن عاطفة الحب الأبوي وهي من أجمل العواطف وأسماها، لا ريب في أنها قوية صادقة، لأن الأب ينقل تجربته الطويلة لابنه ولا يريد له بذلك إلا الخير.

2.وصية الشيبان للرشيد:

وصية الشيبان نابعة عن عاطفة الحب في الله والصدق والإخلاص لله تعالى وحب الخير للناس وهذا نظرا لتشبعه الديني والعقائدي فلذا ولدت قرائحه هذه العواطف المنتهلة من الدين.

3.رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد:

هذه الرسالة كانت كلها محبة في الله، تتجلى هذه العاطفة في النصح للخير والاقتراب من الله، كما تظهر بشكل بارز عند تحذيره من أعدائه على نفسه، فهي تبين خوف الإمام مالك على الخليفة هارون الرشيد، هذه الرسالة يظهر فيها جمال الأخلاق مع جمال الأدب في الكلام، تبين أيضا مقدار التقوى والإيمان بالله تعالى.

ج. أدوات التشكيل الجمالي: فإذا تحدثنا عن جمال الوصايا لا يمكننا إهمال اللغة التي تشكلت منها بواسطة الألفاظ والأسلوب اللذان ساهما في اتساق وانسجام الوصايا.

إن طبيعة الوصية ومصدرها ومن وجهت إليه تتحكم أساسا في ألفاظها وأسلوبها، فليست وصية الأب كوصية الإمام أو الحاكم، وهذا ما يظهر في هذه الوصايا التي بين أيدينا.

1.وصية المنصور لابنه المهدي:

هذه الوصية تغلب عليها الألفاظ اللينة الواضحة فيخاطبه بقوله: يا ابني ويا بني لتتجلى بذلك معاني الرحمة وليشعر المتلقي بلين القلب، وبدأ الكلام بـ "يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة" ليشعره بالطمأنينة والسكينة.

غلب الأسلوب الإنشائي على الوصية وهو الأمر السائد بحكم أنها تهدف دائما إلى النصح والإرشاد، فنجد أفعال الأمر وأساليب النهي بكثرة "لا تحتسب، احفظ، الزم، لا تعتد، لا تضج، لا تكسل، لا تفشل، استعمل"

ورغم ذلك فلا تخلو هذه الوصية من الأسلوب الخبري والذي يظهر في "يحفظ الله عليك أمورك، فإن فيه ثوابك في الآجل، فالسلطان يا بني حبل الله المتين" وهي عبارات تحمل في طياتها معاني جميلة تهدف إلى التذكير بالله ومصير طاعته.

2.وصية الشيبان للرشيد:

يغلب في هذه الوصية ألفاظ البساطة والكلام الحسن المختصر المفيد وذلك بحكم طبيعة الوصية ومتلقيها.

أما بالنسبة للأسلوب فبالرغم من أنها وصية إلا أنها يغلب فيها الأسلوب الخبري "فإنك رجل مسؤول عن هذه الأُمَّة، استرعاك الله عليها، هو أنصح لك، أنتم أهل بيت مغفور لكم" وذلك راجع لكون الشيبان أخذ مقام المذكّر ولم يأخذ مقام الآمر احتراما لمقام المستمع المتلقي هذه الوصية وهو ما يبين حكمته ودهاءه وجمال لغته.

لا تخلو هذه الوصية من الأسلوب الانشائي بطبيعة الحال، فالغرض الأساسي هنا هو النصح والإرشاد فجاء بفعل الأمر "اتق، اعدل، اقسم، انفر"

3.رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد:

إن الألفاظ تنوعت في هذه الرسالة بين اللين والشدة وبين الأمر والنهي والتحذير، فهي وصية طويلة تحمل في طياتها جل مظاهر الالتزام والتقى والإيمان، فقد خطها الإمام مالك حرصا على الاستفادة مما فيها، حتى أنه قال في بدايتها بأنه لم يبخل أبدا ولم يقصّر في النصح والإرشاد.

تنوعت الأساليب في هذه الرسالة بين الأسلوب الانشائي والأسلوب الخبري، فنلاحظ غلبة الأسلوب الإنشائي فيها لما وجدناه من أفعال أمر ونهي وتحذير "فتدبَّره، وردِّد، اذْكُر، واجعل، لا تستسلم، لا تغمض، احذر، وإياك"

من المؤكد أن هذه الرسالة لا تخلو من الأسلوب الخبري فهو موجود عبر فيه الإمام مالك عن التذكير بالله وقدرته وشدة عذابه وسعة رحمته "فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى، وسمعت زفيرهم في النار، وانقطاع رجائهم، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى، وشريف منزلتهم عنده، ونضرة وجوههم ونور ألوانهم" وهو ما استهل به الإمام مالك رسالته حتى يحرك في نفس ابن الرشيد طاعة الله والخوف من غضبه ورجاء رحمته.

د. **التصوير الجمالي:** اللغة العربية كلها جمال وفن فإذا تحدثنا عن التصوير الجمالي في هذه الوصايا فنجد بطبيعة الحال ما يدعو للتأمل في جمال اللغة وفن الوصية، فالبلاغة والتصوير الفني ليس الهدف منه تحسين جمال اللغة فقط، بل له دور في تقوية المعنى وتوصيل الصورة المطلوبة إلى ذهن المتلقي، كما أن غاية منه تكمن في عدم ركاكة اللفظ حتى يتسنى للقارئ مواصلة القراءة واستمرار المتلقي في الإصغاء دون ملل.

1.وصية المنصور لابنه المهدي:

من ألوان البيان التي تضمنها الوصية التشبيه والاستعارة والكناية وتظهر في هذه العبارات الآتية:

احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته: كناية على اتباعه والاقتداء به والتخلق بأخلاقه حتى يبقى وجودها في الأمة محفوظا. وهذا أبلغ الكلام وأجمله في توصيل هذا المعنى

فتبور: شبهه بالأرض البور التي لا يمكن الزراعة فيها وحذف المشبه به "الأرض" وجاء بأحد لوازمها "البور" على سبيل الاستعارة المكنية، وهنا يقد الأب أنه في حالة التعدي فلا يكون لك من جمعك شيء وسيتخلى عنك الجميع فتبقى وحيدا لا تلح لشيء تماما كالأرض البور، وما هذا التعبير الفني إلا مظهر من مظاهر الجمال اللغوي وهو ما زاد المعنى قوة وأوصل له الرسالة بصورة واضحة كأنه يراها بعينه.

فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى: شبه السلطان بحبل الله المتين وعروته الوثقى، فهو تشبيه بليغ حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فجعل السلطان حبل الله وعروته تماما، وهذا من البلاغة والمبالغة، فدوره تقوية المعنى وزيادته وضوحا، وغرض هذا الاستعمال هو تحسيس ابنه بالمسؤولية تجاه الله وتجاه عباده.

وشمر فيها: كناية عن الجد والاجتهاد في العمل، وجاء بها التعبير البليغ حتى يشعره بإلزامية الاجتهاد في الأمور وعدم العبث.

عينا غير نائمة، ولا تنم: كناية عن الحرص الشديد على الناس وتدبير أمورهم وشؤونهم وعدم اغفالهم، وهذا ما يوضح حرص الأب على حث ابنه بهذه الطريقة البيانية الجميلة والتي تحوي معاني التقى والعفاف والالتزام.

ومن ألوان البديع التي تضفي على الوصية رونقا وجمالا نجد:

عظيم..... مقيم: سجع، وهو من المحسنات البديعية اللفظية التي تعطي جمالا في اللفظ يتمثل في صناعة جرس موسيقي متناغم نتيجة النهايات المتماثلة للكلمات.

الآجل...العاجل: حمل هذا اللفظ ثلاث محسنات بديعية جملة واحدة محسنين لفظيين ألا وهما السجع والجناس، والآخر معنوي ألا وهو الطباق، فالسجع زاد من جمال صورة الجملة، أما الجناس في هذه الحالة فهو ناقص نتيجة اختلاف في حرف واحد، والطباق من آثاره إلى جانب تحسين المعنى هو الإيضاح أيضا، فبالأضداد تتضح المعاني، كذلك هذه الجملة أراد منها الأب توضيح أن فائدة ذلك تكون في الأجل القريب والبعيد، وهو ما يشجع الابن على الاجتهاد أكثر والعمل والجد.

2.وصية الشيبان للرشيد:

رغم صغر حجم هذه الوصية إلا أنها تحمل محسنات بديعية يمكن استخراجها كالتالي:

الرَّعِيَّة...السَّوِيَّة...السَّرِيَّة: محسن بديعي لفظي متمثل في السجع، وهو جرس موسيقي استعمله الشيبان في وصيته حتى يلفت انتباه المتلقي ويجعل من لفظه مظهرا جميلا متناغما.

المأمن...الخوف: محسن بديعي معنوي يتمثل في الطباق، ودور هذا المحسن إضافة إلى جمال الصورة هو توضيح المعنى، فالشيبان وضح له حالتين مختلفتين الأمن والخوف، وهو ما يضع المتلقي في مقارنة بينهما ليفهم أكثر الحالة التي يمكن أن يكون عليها.

3.رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد:

تحمل هذه الرسال من البيان الكثير وفيها من الصور البيانية ما فيها، نستخرج منها ما يمكن استخراجه كالآتي:

ولم أدَّخِرْ فيه نُصْحا: شبه النصح بالمادة التي تُدَّخر فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه ألا وهو الادخار على سبيل الاستعارة المكنية.

هذا التعبير البياني الجميل له أثر في تقوية المعنى وزيادة وضوحه، ويبين مقدار كرم الإمام مالك في نصحه للخليفة.

وردِّدْ فيه بصرك: كناية عن صب الاهتمام بالوصية والتأمل الجيد في معانيها وهو استعمال في محله، يجعل الخليفة المتلقي هذه الوصية في تركيز دائم وتكرار لقراءة هذه الوصية حتى يعمل بها.

ونورِ ألوانهم: شبه ألوان البشر بالمصابيح المضيئة، فحذف المشبه به "المصابيح" وجاء بأحد لوازمه "النور" على سبيل الاستعارة المكنية، هذا التعبير البيان جميل جدا يبين مدى حسن صورة المؤمنين المطيعين لربهم وهذا دافع ليجعل الخليفة يعمل بما وصاه الإمام مالك به.

وخاصِمْ نفسك: كناية على عدم طاعة النفس في الشهوات والمنكرات، وتوجيهها توجيها صحيحا مستقيما، هذا أبلغ تعبير لهذه الحالة فمخاصمة النفس معناه عدم السماع لها ولما تأمره من سوء الأفعال.

واخفِضْ لهم جناحك: شبه الإنسان هنا بالملَك الذي يحمل أجنحة فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه "الأجنحة" على سبيل الاستعارة المكنية، هذا التعبير المجازي فيه من معاني الرحمة الكثير، فالملائكة دائما ما يربط اسمهم بالرحمة، حتى إن أصحاب المآزر البيضاء يسمون بملائكة الرحمة لما يحملونه من مشقة بغرض معالجة الناس ومداواتهم، فاستعمال هذا اللفظ هنا يدعو الخليفة لرحمة الناس واللطف في معاملتهم.

بِطانةَ السوءِ وأهل الرَّدى: شبه الأشخاص المسيؤون بالشيء الذي يتم حشوه، فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه وهو البطانة على سبيل الاستعارة المكنية، هذا التعبير يقتدي به الأشخاص الذين يملأ قلبهم الغل والكره والسوء والذين لا يريدون الخير للخليفة، لذلك جاء بهذا التعبير البياني الموضح للمعنى بشكل جيد حتى يحذره منهم

قد ساقَ إليكَ مِنْ موعِظَتِي: شبه الموعظة بالشيء الذي يساق، فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه "ساق" على سبيل الاستعارة المكنية، زاد هذا التعبير الجمالي وضوحا للمعنى فقد تكرم الله سبحانه وتعال بأن علمهم جميعا من علمه وأوصله إلى الخليفة حتى يحمد الله تعلى على فضله وكرمه.

وخلاصة القول أن القيم الجمالية لفن الوصايا التي قمنا بإبرازها في العصر العباسي ماهي إلا انعكاسا للنمو الفكري و الأدبي والحس الفني للأدباء آنذاك فحتى المتلقي لهذه الوصايا نجده ممتلكا لذوق أدبي رفيع، الأمر الذي جعله يستوعب القيمة التي تحملها الوصايا فالقارئ لها بتذوق حتما سيؤثر و يتأثر وهي بمثابة علاقة تأثيرية و هنا يكمن الجوهر الجمالي لها

الخـــاتمـــــــة

سعت هذه الدراسة إلى البحث عن القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي، وحاولت تتبع تاريخ الوصية عبر العصور التاريخية العربية، وقد وضح أن لأدب الوصايا خصوصية واضحة تميزه عن سائر الفنون الأدبية الأخرى، فقد ضم الشعر والنثر على حد سواء، غير أن فن الوصية اختص لنفسه طريقا مستقلا تجلى في أنه نهل من الخبرات والتجارب الحياتية للفرد، والمعارف والمكتسبات والقيم الأخلاقية والدينية، ثم إنه ضرب في شتى ميادين الحياة، حيث قدم الموصون وصاياهم في سياقات عديدة اجتماعية، سياسية، دينية وحتى التربوية.

وقد بينت الدراسة أثر الجو العام والبيئة العباسية على أدب الوصية، كيف ساهم في تطويرها خاصة من الناحية البلاغية، حيث أثر تداخل الثقافات بين الشعوب، وتنوع واتساع الأفكار إلى إثراء هذا الفن، فكانت تشكل الوصايا وحدات شعرية أو نثرية مستقلة بذاتها حينا، أو بعض مقطوعات نثرية أو شعرية في ثنايا أعمال متكاملة حينا آخر.

كما بينت الدراسة السمات الفنية والجمالية لهذا الفن في العصر العباسي خاصة، والذي تجلى من خلالها مدى تشبع الأدباء حينئذ بزاد أدبي ومعرفي كبير، جعلهم يبدعون في هذا الفن، وأظهر البحث أيضا أن الوصايا في غالبيتها تعتمد على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والاقتباس منهما، وذلك بالإشارة إلى النص الأصلي، أو من خلال تضمينه.

وقد بينت الدراسة السمات اللغوية لتلك الوصايا، حيث تلجأ إلى أساليب التحذير والإغراء لما لذلك من وقع على نفس المتلقي كما تعتمد البنية الفعلية الأمرية، وتلجأ إلى التكرار والترادف والتضاد في كثير مما تقدم، من أجل توضيح الصورة أكثر في نفس المتلقي، وتناولت الدراسة أيضا أشهر كتاب الوصايا في العصر العباسي وأهم المناسبات التي تمت فيها الوصايا

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في إنجاز هذا البحث المتواضع، الذي أردنا من خلاله أن نبين مدى جمالية وقيمة هذا الفن الأدبي في العصر العباسي.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

القرآن الكريم

المراجع:

1. إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، ج3.
2. ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني، (395هـ). معجم مقاييس اللغة، تح/: عبد السلام هارون ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (مادة وصى) ص 116.
3. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ج5.
4. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، ط1، ج10، 1984.
5. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف بمصر، ط2، 1967.
6. أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الإنجلو المصرية، 1990.
7. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت–لبنان، ج1.
8. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1.
9. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2.
10. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3

11. أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ج8، ص81.

12. أخرجه أبو داود في سننه برقم 4608 والترمذي في كتاب العلم برقم 2678

13.الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة مصر، 1974، ج7.

14.الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج2.

15.الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد 120.

16.الجوزي، مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، دار الراية، الطبعة 1/ 1995، ج2.

17. المفضل الضبي، المفضليات، تحق أحمد شاكر، هارون ط3، دار المعارف القاهرة، ص 384

18. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (398هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 1 ، 1999 (مادة وصى)

19.حازم خنفر، غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2009.

20.حذيفة عبد الله العزام، الوصايا في الأدب الأندلسي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، حزيران 2008.

21. سنن الترمذي 3/ 467

22. سنن أبي داود، ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني، مطبعة السعادة مصر، ج2، ص610

23.سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط3 1977.

24. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج8.

25.محمد خلدون أحمد نورس مالكي، دكتوراه– قسم الفقه الإسلامي وأصوله / جامعة دمشق، 2010.

26.محمد سالم الخضر، البلاغة العمرية، مبرة الآل والأصحاب، ط1 2014.

27.وائل حافظ خلف، وصايا الآباء للأبناء، دار ابن القيم بالإسكندرية.

28.لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، 12/ 143، ومختار الصحاح، مادة: حكم

29.ابن يونس الصقلي، الجامع لمسائل المدونة باب الثامن والعشرون.

30.محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

31.ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ج1.

32.ياسر الحمداني، موسوعة الرقائق والأدب.

33. روناك توفيق علي النورسي، وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

فهرس العناوين

المحتويات	الصفحة
حديث نبوي + حكمة	
البسملة	
إهداء	
المقدمة	أ، ب

الفصل الأول: فن الوصية عبر العصور (من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي)	
المبحث الأول: شرح مفهوم الوصية	04
أولا / مفهوم الوصية	04
أ_ الوصية لغة	04
ب_الوصية اصطلاحاً	05
ثانيا / كيف صارت فنا؟	06
المبحث الثاني: نماذج ومضامين الوصايا في العصر الجاهلي	08
أولا: الوصايا في العصر الجاهلي	08
1.نماذج ومضامين	08
أ-وصايا الحكماء	08
ب_ وصايا الآباء للأبناء	09
ج_ وصايا الزواج	10

2.الخصائص الفنية لفن الوصية في العصر الجاهلي	11
المبحث الثاني: نماذج ومضامين الوصايا في عصر صدر الإسلام والأموي	12
أولا: الوصايا في عصر صدر الإسلام (من 662 - 750م)	12
1.نماذج ومضامين	12
أ_ الوصية في القرآن الكريم	13
ب_ وصايا النبي –محمد صلى الله عليه وسلم–:	14
ج–الوصايا الدينية	14
د_ الوصايا السياسية	15
هـ_ الوصايا الاجتماعية	16
و_ وصايا الحرب	17
ثانيا: الوصايا في العصر الأموي (من 661إلى 750م)	17
أ_ الوصايا الدينية	18
ب_ الوصايا التربوية	19
ج_ الوصايا السياسية	20
المبحث الثالث: نماذج ومضامين الوصايا في العصر العباسي	21
أولا: فن الوصايا في العصر العباسي	21
أ_ الوصايا السياسية	22
ب_ الوصايا الدينية	25

ج_ الوصايا الحربية	26
د_ وصايا الحكماء	28

الفصل الثاني: القيم الجمالية في فن الوصية في العصر العباسي	
المبحث الأول: نماذج ومضامين الوصايا في العصر العباسي	27
أولا: وصية المنصور لابنه المهدي	27
ثانيا: وصية الشيبان للرشيد	28
ثالثا: رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد	28
المبحث الثاني: القيم الجمالية في هذه الوصايا	42
أ. الأفكار	42
1. وصية المنصور لابنه المهدي	42
2.وصية الشيبان للرشيد	43
3.رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد	43
ب. العاطفة	44
1.وصية المنصور لابنه المهدي	44
2.وصية الشيبان للرشيد	44
3 .رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد	45
ج. أدوات التشكيل الجمالي	44
1.وصية المنصور لابنه المهدي	45

2.وصية الشيبان للرشيد	46
3 .رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد	46
د. التصوير الجمالي	47
1. وصية المنصور لابنه المهدي	47
2. وصية الشيبان للرشيد	49
3. رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد	49

الخاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	**53**
فهرس العناوين	
الملخص	

الملخص:

تناولت هذه الدراسة المسومة بعنوان: " القيم الجمالية لفن الوصية في العصر العباسي "

تم التطرق في هذه الدراسة على خطة منهجية تعتمد على مقدمة وفصلين وخاتمة تناولنا فيها الوصية من حيث مفهومها وخصائصها عبر العصور العربية، والكشف عما يميز هذا الفن عن غيره من الموضوعات الأخرى، وبيان خصوصيته من حيث الظرف العام وكيف صار فنا بحد ذاته، وكيف ساهم في توجيه الأفراد وتهذيب سلوكهم باطنا وظاهرا، وقد هدفت الدراسة إلى إبراز القيم الجمالية لهذا الفن وبشكل خاص في العصر العباسي، مبرزين أهم الجوانب الجمالية والبلاغية والفنية وأهم أعلامها من شعراء وأدباء وأصحاب الفكر.

وتعد هذه الدراسة ماهي إلا محاولة منا لإثراء هذا البحث الأدبي.

Abstract

This study, entitled: The aesthetic values of the art of the will in the Abbasid era, dealt with.

In this study, a systematic plan was discussed based on an introduction, two chapters and a conclusion in which we dealt with the commandment in terms of its concept and characteristics throughout the Arab eras, revealing what distinguishes this art from other topics, and clarifying its specificity in terms of the general circumstance and how it became an art in itself .

This study is only an attempt by us to enrich this literary research